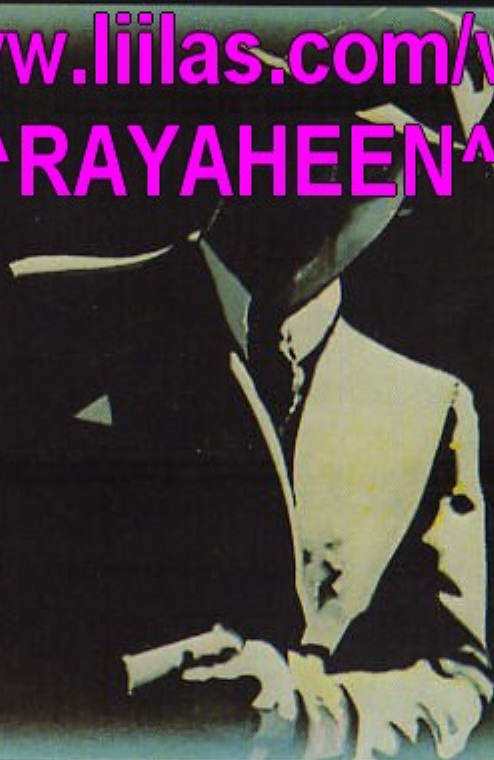
أرسين لوبين

الخدعة الكبرى



مغامرات "أرسين لوبين"

● ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس.

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	5$	CanadA
سوريا	٧٥ ل	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	1.5	U.K
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	15F.F	France
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١,٥ د	1200Drs.	Greece
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	1.5 P.	CYPRUS

الفصل الأول

اشرفت الساعة على الثالثة بعد منتصف الليل . ومع ذلك كان هناك رتل من السيارات لا يزال قائماً بباب دار من تلك الدور الصغيرة التي يقطنها رجال الفنون في الغالب والتي تطل على شارع (برتيبه) .

وانبعث لغط من وراء باب ذلك البيت ، ثم فتح وبرز منه نفر من الضيوف رجالا ونساء خرجوا إلى الطريق وهم يتضاحكون ويتحادثون .

وتحركت المركبات للمسير فانعطف بعضها يمينا ومضى بعضها يساراً . فلم يبق في المكان إلا رجلان مشيا معا يتجاذبان اطراف الحديث ثم افترقا عند ناصية شارع «كورسيل» حيث يقيم احدهما ، اما الثاني فتابع طريقه متجها إلى (بورت مايو) وقد آثر ان يرجع إلى داره سيراً على قدميه .

ثم عبر شارع (فيلبيه) واستمر في سيره على الإفريز المقابل في محاذاة الحصون الحربية القائمة هناك .. وطاب له المسير في ذلك الليل الهادئ ذي السماء الصافية التي تتالق النجوم في صفحتها ، والسكون يرجع صدى خطواته ، وهو يضرب الارض بقدميه في جذل ومرح .

على انه ما مشى بضع دقائق حتى وقع في روعه ان هناك من يتعقبه.

وتيقن من الأمر حين ادار راسه فجاة فلمح شبح رجل يتوارى بين الأشجار .

وما كان صاحبنا بالجبان الرعديد ، ولكنه راى من الحكمة ان يعجل في السير ليبلغ (او كنزوا دي تيرن) في اقصر وقت ممكن ، وما ادرك مطارده بغيته حتى انطلق يجري في إثره . فاشتد القلق بالرجل واستدار ليواجه خصمه وقد امتدت يده إلى جيبه الخلفي ليخرج مسدسه .

ولكن الوقت كان اضيق من ان ينفسح لإخراج المسدس فقد انقض عليه مطارده في سرعة البرق الخاطف ، ونشب بين الرجلين عراك

عنيف في ذلك الطريق المهجور الذي انقطعت منه اقدام السابلة في مثل تلك الساعة من الليل ، ثم التحم منهما الجسمان ، وانهالت اللكمات ، وادرك صاحبنا ان خصمه اقوى منه بنية واشد مراسا ، فصرخ يستنجد باعلى صوته ، واخذ يناضل عن نفسه ما وسعه النضال .

ولكن ما عسى تغني الصرخات وهي تتبدد في الهواء ، وما عسى يغني النضال إزاء خصم عنيد يحذق فنون الصراع ؟

واخيراً اصابته لكمة حاسمة القت به على الارض صريعاً لا يقوى على النهوض ، وجثم خصمه الجبار فوق صدره ، واطبق بيد على عنقه ، واخذ باليد الاخرى يحشو فمه بمنديل جعل منه كمامة تمنعه من الكلام .

اغمض الرجل عينيه في تعب وإعياء ، وانبعث في اذنيه طنين عجيب وادرك انه يوشك ان يفقد رشده ويصاب بنوبة من الإغماء .

وفجاة ... وعلى غير انتظار .. تراخت الاصابع التي تخنق عنقه .. وانزاح الثقل الجاثم فوق صدره .

وبدوره .. انبعث خصمه واقفا ليدافع عن نفسه ضد هجمة فجائية غير متوقعة .

واعقب هذا ضربة من عصا .. وركلة من قدم .. ثم تاوه الرجل متوجعاً ، وانطلق يجري وهو يسب ويشتم .

ولم يخطر للمنقذ ان يتعقب الهارب وإنما مال فوق المعتدى عليه وهو صريع على الارض وقال في صوت تدل نبراته على العطف والرفق:

- هل أصابك سوء يا سيدي ؟

فهز الضحية راسه وقال في صوت خافت إنه بخير ، ولكنه متعب منهك القوى لا يستطيع النهوض .

واقبل شرطي على الجلبة فاستدعى مركبة حملت الرجل ومنقذه إلى شارع (الجيش) .

وحين بلغت المركبة بيت الرجل ، وكان قد افاق مما اصابه اخذ يكيل الشكر لمنقذه . قال في لهجة تنم عن الاعتراف بالجميل :

- إني مدين لك بحياتي يا سيدي .. وكن موقنا من اني لن انسى

حسن صنيعك .. ويجب ان اقدمك يا سيدي إلى زوجتي لتزجي إليك الشكر بنفسها . ولكني اوثر ان ارجئ الامر إلى الغد حتى لا ازعجها بالنبأ في مثل هذه الساعة من الليل ، فهلا تناولت الغداء معنا غداً .؟

ولما ابدى المنقذ شيئا من التردد اخذ الرجل يلحف في رجائه وذكر له انه يدعى "لادوفيك امبرت" واردف يقول :

– وهل لي ان اتشرف بمعرفة اسمك يا سيدي . ؟

فاجاب الآخر في غير تردد :

– بكل تاكيد .. إنني ادعى "هوراس فيلمونت" .

و"هوراس فيلمونت" احد الأسماء العديدة التي ينتحلها "ارسين لوبين" حين يريد ان يخفي شخصيته . !

* * *

حين استيقظ " لوبين" في صباح اليوم التالي واستعاد إلى ذهنه حوادث الليلة الماضية اخذته نشوة من الغبطة والابتهاج .. الم تصبح الغاية التي ينشدها دانية ميسورة .. ! الم يعد الهدف المرتقب في متناول يده . !

الا إنها لغاية تستحق ما يبذل من جهد ومشقة . !

ملايين "امبرت" . ! إنه ليشتهيها ويتلهف إليها . ! وفي سبيلها لن يحجم عن شيء ولن يتردد في انتهاج كل حيلة ممكنة . وغادر "لوبين" فراشه وارتدى ثيابه .. ولكنها لم تكن الثياب المالوفة التي اعتاد ان يلبسها كل يوم .. فقد حرص على أن يضفي على نفسه مظهر الفاقة والعوز : جاكتة حال لونها ، وقبعة قدم طرازها ، وبنطلونا لم ير الكواء منذ امد طويل ! كانت ملابسه نظيفة ولكنها قديمة ..

والنظافة والقدم إذا اجتمعا كانا دليلا على ان صاحبهما رجل تنكرت له الأيام وخانته الحظوظ .

وفي هذا الزي العجيب اخذ "لوبين" يهبط درج مسكنه القائم في حي (مونمارتر) . فلما بلغ الطابق الثالث قرع بمقبض عصاه بابا مغلقا دون ان يقف او يتريث .. وإنما تابع هبوطه حتى خرج إلى الطريق .

ومرت به مركبة الترام فوثب إليها ، وصعد خلفه رجل كان يمشي في إثره واتخذ مجلسه إلى جواره .

وما كان هذا الرجل إلا ساكن الطابق الثالث الذي طرقه "لوبين" عند نزوله .

وبعد لحظات مال الرجل إلى "لوبين" وقال في صوت منخفض :

– ما رايك يا رئيسي . ؟

فاجاب "لوبين" دون ان يدير راسه إلى ناحيته :

– كل شيء على ما يرام .

– كيف . ؟

– لقد دعاني للغداء عنده اليوم .

– دعاك للغداء . !

فضحك "لوبين" ضحكة خفيفة واردف يقول :

– اكنت تريد مني ان اجازف بحياتي لقاء لا شيء . ! احسبتني ممن يستهدفون للاخطار عبثا . ! لقد انقذت مسيو "لادوفيك امبرت" من الميتة التي اعددتها انت له فشكرني واثنى علي ودعاني لتناول الغداء معه .. لقد كانت خدعة حاذقة يا بني . ! "لوبين" يدبر اعتداء مزعوما على "امبرت" ثم يخف إلى نجدته . ! معتد ومنقذ في وقت واحد . ! يا للبراعة !

وساد صمت قصير قطعه الرجل بقوله :

– إذن فلا تزال مصراً على رايك . ؟ الا تنوي العدول . ؟

فابتسم "لوبين" وقال :

– ايعدل "لوبين" يا بني بعد ان قطع هذا الشوط الكبير في سبيل الغاية المنشودة . ! لقد دبرت اعتداء الليلة الماضية .. وظللت منزويا عند الحصون حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل .. ثم هويت على راسك بعصاي وركلتك بقدمي ، وانت اخلص اعواني واصدقهم في خدمتي ، فهل تبغي مني بعد هذا ان انكص واتراجع . ! والله إنك لتجهل "لوبين" اشد الجهل يا بني . ! وهذه الملايين التي تتالق امام عيني وتكاد تبهر مني البصر . ! كيف تطلب إلي ان اتخلى عنها ..

فقال الرجل معترضاً :

– وهذه الإشاعات المقلقة التي ترددها الألسن عن تلك الثروة . ؟

فهز "لوبين" كتفيه في غير اكتراث وقال :

- فليريدوا ما شاءوا فلست ابالي بما يهرفون . ! منذ ستة اشهر بدأت أهتم بهذه المسالة .. ستة اشهر وانا انقب وابحث واجمع المعلومات . ستة اشهر وانا أدبر الخطط واهيىء الفخاخ واتحرى عن السر المجهول من الخدم والمرابين .. ستة أشهر وانا اتعقب "امبرت" وزوجته واراقبهما وادرس كل حركة من حركاتهما .. فكيف تسالني بعد هذا عما إذا كان في نيتي ان ارجع القهقرى! الا إنها لتكون حماقة كبرى لو أن مثل هذا الخاطر طاف بذهني مجرد طواف! والآن بعد هذه التحريات الدقيقة المتشعبة استطيع ان أؤكد لك ان الثروة موجودة . ! وليس يعنيني إن كانت قد جاءتهما من «راوفورد» او من مصادر اخرى .. وإنما حسبي من الامر انها موجودة . ! ومثل هذه الثروة إن وجدت فلن يتخلى عنها "لوبين" ..

فغمغم الرجل يقول في لهجة المتلهف الظمآن :

- يا إلهي . ؟ إنها لكنز عظيم . ! مائة مليون فرنك . !

- فلتكن عشرة . ! او خمسة . ! هذا امر يعروه الشك .. ولكن الشيء الذي لا تخالطه ذرة من الريبة هو ان خزانة "امبرت" عامرة بالسندات. إنها مكتظة برزم ضخمة من السندات حتى لتكاد تتفجر جوانبها .!

وإني لأكون اخيب الناس إن عجزت عن الاستيلاء على المفتاح عاجلا!

وكانت المركبة قد بلغت إذ ذاك ميدان النجمة «ليتوال» فقال الرجل :

- أما من تعليمات جديدة تصدرها إلي . ؟

- نعم .. فلا يزال في الوقت متسع ، وسانبئك حين اكون في حاجة إلى اية معونة .

* * *

وبعد خمس دقائق كان "ارسين لوبين" يطرق باب قصر "لادوفيك امبرت" .

وقدمه رب الدار إلى زوجته ..

و"جرفيز" امراة بدينة الجسم لطيفة المعشر حلوة الحديث ، ولكنها ثرثارة مولعة بالكلام ، لا تكاد ترد لسانها إلى حلقها .

واقبلت على "لوبين" تحييه وترحب به ترحيباً حاراً وهي تقول :

- لم نشا ان ندعو اليوم أحداً إلى مائدتنا رغبة منا في ان نكرس كل

وقتنا للترحيب بمنقذنا الشهم .

ومنذ اللحظة الأولى اخذ "امبرت وزوجته يعاملان «منقذهما الشهم» كانه صديق قديم توثقت بينه وبينهما أواصر المعرفة والمودة ، وما شارفت المادبة نهايتها حتى كانت صلات الصداقة قد رسخت وتوطدت.. فتبودلت الاسرار . وانكشفت طوايا القلوب .. ولم يعد احد منهم يكتم عن صاحبه خفايا النفس ..

فتحدث "لوبين" طويلاً عن نفسه وعن ابيه .. عن ذلك الاب الذي زعم انه كان قاضيا نزيها عف اليد .. وتحدث عن طفولته البائسة وما لقي من عنت وشقاء عقب موت ابيه .. ثم تحدث عن متاعبه الحالية وكيف تلح عليه حاجات الدنيا وترهقه مطالبها .. وهو صامد يجالد الفاقة في غير وهن او ضعف .

وتحدثت "جرفيز" عن أيام الشباب الخالية . وعن زواجها .. ثم تحدثت عن "راوفورد" وما طبع عليه من السخاء وطيبة القلب وكرم النفس . واخيراً تحدثت عن المائة مليون التي ورثتها ، وعن العقبات التي لا تزال قائمة في طريقها تحول دونها والاستمتاع بهذه الثروة الضخمة وكيف قسرتها الظروف الملحة على الاقتراض بفوائد كبيرة .

ثم تحدثت عن ذلك النزاع المستحكم بينها وبين ابناء اخي «راوفورد» وعن شروط الوصية وعن الحراسة القضائية المفروضة على السندات.

وقصارى القول : إنها افضت إلى "لوبين" بتفاصيل القصة كلها ، ما يعلم منها وما يجهل .

واختتمت المراة المسكينة حديثها بان قالت في لهجة مؤثرة :

- تصور يا مسيو "فيلمونت" ان السندات والأسهم موجودة كلها هنا .. في الغرفة المجاورة .. في مكتب زوجي . ! ولكن لو اننا اقتطعنا منها كوبوناً واحدا وقبضنا قيمته من البنك لفقدنا كل شيء . ! كل شيء . ! يا إلهي . ! خزانتنا عامرة بالأوراق المالية ومع ذلك لا نستطيع ان نلمسها او نمد إليها يداً . ! أليست هذه الحالة نكبة لا تطاق . !

وغمغم "لوبين" يقول :

- إذن فالسندات هنا . ؟

فاجابت المراة بقولها :

– نعم هنا .. ! وهذا هو الشيء الذي يحزنني .. ! لو كانت بعيدة عن متناول أيدينا لكان الأمر اخف واهون .. امامنا ، وتحت بصرنا ، ومع ذلك لا نملك ان نمسها .. ! يا لها من نكبة .. !

امن "لوبين" على قولها .. إنها حقاً نكبة جسيمة ان تكون السندات هنا .. في متناول يده هو .. ! ومع ذلك لا يملك ان يمسها ، او يسرقها.!

وتدرج الحديث وتشعب ..

وعلى الأسئلة التي القيت في لباقة وكياسة اعترف "لوبين" بما هو عليه من رقة الحال والحاجة إلى العمل بعد ان ارهقته البطالة ، وارتسمت امارات التاثر على وجه الزوجين .. ولم يتردد "امبرت" في ان يعرض على "لوبين" ان يتخذه سكرتيراً له لقاء مرتب شهري قدره مائة وخمسون فرنكاً .. ! وابدى "لوبين" ابتهاجه بهذا المنصب الذي سينتشله مما يعاني من الفاقة والفقر .

وقال "امبرت" :

– ولا حاجة تدعوك إلى الإقامة معنا ؛ فلك ان تظل مقيما في مسكنك، ولكننا سنفرد لك غرفة في الطابق الثاني لتكون مكتبا لك .

وابتهج "لوبين" بذلك ، واختار غرفة لنفسه ، ولكنه حرص على ان تكون غرفته واقعة فوق مكتب "لادوفيك" .

* * *

لم يكن "ارسين لوبين" في حاجة إلى وقت طويل كي يدرك انه يتناول مرتبا دون أن يزاول عملا .. ! وبان مركز السكرتارية الذي يتولاه ادنى ما يكون إلى البطالة .. ! لقد مر به شهران لم يعهد إليه مخدومه في خلالهما إلا بكتابة اربع رسائل .. ! ولم يستدعه إلى مكتبه إلا مرة واحدة .. !

ولم يغب عن "لوبين" ان مسيو "امبرت" لم يدعه ولا مرة واحدة إلى المادب او الحفلات الساهرة التي يقيمها .. ولم يغضبه الامر او يهيج نقمته ، بل لقد كان في الواقع راضيا مرتاحا إذ كان يؤثر هذا الا نزواء عن الناس .. كان يفضل أن يلبث متواريا في الظلام ، يعمل ويدبر ،

دون أن يراه احد او يفسد عليه خطته فضولي يتدخل .

ولم يضيع "لوبين" دقيقة واحدة عبثا .. لقد حرص منذ اللحظة الأولى على ان يعمل وعلى ان يستغل كل ساعة يمضيها في القصر .. لقد زار مكتب مسيو"امبرت" زيارات خفيفة مختلسة ، والقى على الخزانة نظرات فاحصة ..

وكانت الخزانة مصنوعة من الفولاذ على طراز حديث يستعصي على ما بلغ إليه فن اللصوصية من وسائل بارعة لاغتصاب الخزائن .. فلو أن ابرع المغتصبين اراد فتحها لاستحال عليه الامر ولارتد خيبته فور نظرة يلقيها عليها.

وقال "لوبين" في نفسه : – إني اعلم اني لن اقصر دون اغتصابها .. ولكن لابد لي من ساعة او ساعتين .. فكيف تتاح لي هذه الفرصة ومخدع الزوجين ملاصق لغرفة المكتب ؟ إن اقل حركة او جلبة كفيلة بتنبيههما من النوم .. !

ثم هز كتفيه في غير مبالاة واخذ يناجي نفسه : ولكن حيث يخفق العنف ينتصر الدهاء .. ! وحسبي لكي اظفر ان اظل يقظاً مرهف الاذنين لا تغفل لي عين .. !

وشرع "لوبين" في العمل .

اتى بانبوبة معدنية انفذها من ثغرة احدثها في ارضية غرفته .. ومدها في خفاء حتى بلغت سقف مكتب لا دوفيك .. ! وبواسطة هذه الانبوبة استطاع ان يحقق ما يبغي : منها يسمع وبها يرى .. وبذلك ظل مرهف الأذنين لا تغفل له عين .. !

وهكذا امضى "لوبين" نهاره منبطحاً على الأرض في غرفته : عينه تارة على فوهة الأنبوبة .. واذنه تارة اخرى .. وكم من مرة راى الزوجين إزاء الخزانة يخرجان منها رزما من السندات والأسهم يقلبانها بين ايديهما ويطيلان إليها النظر .. ثم يردانها مكانها وهما يتنهدان حسرة وأسفاً .. !

وحين راهما يفتحان الخزانة حاول أن يعد (تكات) الأرقام وهي تدور عله يستطيع بذلك ان يهتدي إلى كلمة السر .. ولقد حرص على أن يصغي إلى ما يدور بينهما من حديث .. كما حرص على مراقبة

حركاتهما ..

ترى اين يخبئان المفتاح .. ؟

وفي ذات يوم رآهما يغادران غرفة المكتب دون ان يغلقا الخزانة .

فانطلق من فوره يهبط السلم وثبا . ودخل المكتب في غير تردد ولكنه الفاهما قد رجعا .. !

جمد "لوبين" مكانه وقال معتذرا :

- اوه .. إني اسف .. لقد اخطات الغرفة .. !

وهم بان يعود ادراجه . ولكن "جرفيز" تعلقت بذراعه وجذبته إلى الداخل وهي تقول :

- ادخل يا مسيو "فيلومنت" .. ادخل . إنك عندنا اعز من الاهل .

فضلا عن اننا في حاجة إلى مشورتك : ايهما تنصحنا ان نبيع : سندات (فور) ام سندات (رينت) .. ؟

فبانت الدهشة في وجه "لوبين" وقال في لهجة تنم على الاستغراب :

- وشروط الوصية .. ؟

- إنها لا تتناول جميع ما لدينا من سندات . إن لنا الحق في ان نتصرف في بعضها .

وفتحت "جرفيز" باب الخزانة .. واخذت عين "لوبين" مشهدا لا ينسى. كانت الرفوف مكتظة بحلقات مشدودة بسيور من الجلد ..

وكان يعرف ان هذه الملفات .. محشوة بالسندات والاسهم .. !

تناولت "جرفيز" احد الملفات وهمت بان تفتحه . ولكن زوجها اعترضها بقوله :

- إن من الحماقة يا "جرفيز" ان نبيع سندات (فور) وهي اخذة في الصعود . على حين ان سندات (رينت) قدبلغت من الصعود غايتها . فلا رجاء لها بعد في صعود جديد .

ثم تحول فجاة إلى "لوبين" وقال :

- وما رايك انت في هذا يا صديقي العزيز . ؟

ولكن لم يكن «للصديق العزيز» راي يبديه . غير انه اشار ببيع سندات (رينت). فردت "جرفيز" الملف مكانه وتناولت سواه وانتزعت منه سندا قدمته إلى زوجها فدسه في جيبه .

وبعد ظهر ذلك اليوم نفسه اصطحب "امبرت" سكرتيره "لوبين" ومضى إلى أحد السماسرة فباعه السند وتلقى ثمنا له : ستة واربعين الفا من الفرنكات .

وعلى الرغم مما يلقى "لوبين" في هذا البيت من ترحيب .. وعلى الرغم مما اكدته له "جرفيز" اكثر من مرة انه عندها وعند زوجها اعز من الاهل ، على الرغم من ذلك لم يغب عن "لوبين" غرابة .. مركزه في هذه الدار . وفي كثير من الأحيان تخالجه الدهشة العميقة مما يرى ويسمع .. فقد لاحظ مثلا ان الخدم يجهلون اسمه جهلا تاما مكتفين بتلقيبه «بالسيد» وكذلك "لادوفيك" نفسه . فهو لا يفتا يقول : هل جاء السيد .. ؟ قل للسيد كذا وكذا ... هل خرج السيد .. ؟

فهو دائما عند الجميع«السيد» ولا شيء غير «السيد» .... ! فلم هذه التعمية..؟ ولأي غرض هذا الإبهام .. ؟

على أن الشيء الذي اثار دهشته اكثر من اي شيء آخر إنما هو النفور الذي بدا من "امبرت" وزوجته نحوه بعد انقضاء الأيام الاولى ..

ففي اول عهده بالدا ر كانا يرحبان به ترحيبا شديدا ولا ينفكان يحيطانه باسباب التحية والاهتمام . وعلى حين فجاة كفا عن هذا السلوك وفترت حماستهما . حقيقة ، إنهما لبثا يعاملانه بما ينبغي من التحية والاحترام الواجبين نحو الرجل الذي انقذ حياة الزوج . ولكنهما لم يعودا يحفلان به كانما نسيا انه موجود في الدار . !

ولقد خيل إلى "لوبين" من انصرافهما عنه انهما يعتقدان فيه شذوذ الطبع وجفوة الخلق والميل إلى العزلة والاعتكاف . فاحترما رغبته في الانفراد بنفسه وابيا ان يزعجا وحدته .

واتفق مرة وهو يعبر البهو أن راى "جرفيز" ترمي ببصرها إليه وسمعها تقول لرجلين يجالسانها :

- إنه خجول يؤثر العزلة .. !

وقال "لوبين" في نفسه : - نعم .. إني خجول .. !

ولم تغضبه هذه العزلة لانها ادعى إلى تحقيق اغراضه حتى لا يفسد عليه فضولي خططه ولم يعد يفكر في "امبرت" وزوجته وغرابة اطوارهما .

ولم يعد يسال نفسه عن البواعث التي حفزتهما إلى نسبة الخجل إليه ..

لم يرهق ذهنه بالتفكير في هذه الصغائر واولى به ان يصرف تفكيره كله إلى الملايين المنشودة . !

كانت خطته ترمي في أول الأمر إلى الركون إلى المصادفات او ما قد تقع فيه "جرفيز" من الإهمال . على انه ما لبث أن ادرك ان خطة هذا عمادها لا يمكن ان تسفر عن تحقيق الغاية المنشودة . وإن حققها فلن يكون ذلك إلا بعد امد طويل . وقد عيل صبره ولم يعد في طاقته ان يتريث اكثر مما تريث . وهذه "جرفيز" حريصة على مفتاح الخزانة لا تتخلى عنه لحظة ولا تنساه مرة على المنضدة . وما اتفق يوما ان تركت الخزانة مفتوحة على مصراعيها ليغترف منها "لوبين" ما شاء .!

واستحثه إلى التعجيل تطور جديد طرا على المسالة فقد اخذت بعض الصحف تحمل على "امبرت" وزوجته حملة شعواء وترميهما بالنصب والاحتيال والخداع . ومضت تؤكد ان الزوجين ينصبان احبولة لخداع المقرضين والمرابين وان السندات المزعومة لا وجود لها . والا وصية هناك تحرم على الزوجين التصرف في السندات . وكل ما في الأمر ان هذه الاقصوصة خدعة يتوسل بها الزوجان إلى اقتراض المال على حساب السندات الموهومة .. ولما اشتدت الحملة وتضاعفت وطاتها راى "لوبين" ان يعجل بالعمل لانه إن تريث فقد كل شيء .

ولقد كان من عادة "لوبين" ان يغادر الدار في الساعة السادسة من مساء كل يوم . ولكنه رغبة في الإسراع في العمل لزم المنزل خمسة ايام كاملة . فيزعم للزوجين انه ماض إلى داره ولكنه بدلا من هذا يتسلل إلى الغرفة المخصصة له وينبطح على الأرض وعينه على فوهة الأنبوبة يرقب ما يجري في مكتب "امبرت" . والزوجان لا يعلمان انه موجود .

وفي اليوم السادس وقد قنط من النجاح غادر المنزل عند منتصف الليل من الباب الخلفي .

ولما حل اليوم السابع علم ان الزوجين - اتقاء للحملات العنيفة

الموجهة ضدهما - وعدا بان يفتحا الخزانة امام رجال الصحف والمرابين ليثبتا حسن نيتهما . وان الحملة القائمة ضدهما حملة مغرضة اثيمة .

وقال "لوبين" في نفسه : - إن لم انجح الليلة فلا رجاء لي بعد الليلة في النجاح . !

وفي ذلك المساء بعد ان فرغ الزوجان من تناول الطعام مضيا إلى غرفة المكتب واخرجا كتبا من الخزانة واخذا يقلبان صحائفها .

ومرت ساعة ، وتلتها ساعة اخرى .

وسمع "لوبين" وقع اقدام الخدم وهم ياوون إلى مخادعهم .. الآن خلا الطابق الأول ممن فيه ودقت الساعة إيذانا بانتصاف الليل ، ومع هذا كان الزوجان لايزالان في غرفة المكتب منهمكين في العمل .

وتمتم "لوبين" يحدث نفسه : - الآن .. حانت ساعة العمل !

وفتح نافذة غرفته . ونافذة الغرفة تشرف على الفناء وكان الليل ساكنا والظلمة سائدة شاملة وقد تلبدت السماء بغيوم حجبت النجوم فلم يعد هناك بصيص من الضوء يبدد الظلمات الدامسة .

واخرج "لوبين" من دولابه حبلا انتشرت على طوله العقد . فشده إلى سياج الشرفة . ثم تخطى السياج واخذ يهبط فوق الحبل في رفق واناة حتى بلغ النافذة الواقعة تحت نافذته . ولم تكن بطبيعة الحال إلا نافذة المكتب وقد اسدلت الستائر فوقها .

جمد "لوبين" عند النافذة كانه تمثال من الحجر وارهف اذنيه للسمع.

كان السكون شاملا .. فسرى الاطمئنان إلى قلبه . وضغط في رفق مصراع النافذة . ولم يكن لديه شك في ان النافذة ستنفتح مستجيبة إلى الضغط فقد حرص في اثناء النهار على ان يسد الثقب الذي «يبيت» فيه لسان المزلاج حتى لا يتعذر عليه فتحها حين يشاء .

استجابت النافذة للضغط .. وفي حرص وحذر اخذ يواربها على مهل . وحين تسنى له ان ينفذ راسه بين المصراعين كف عن فتحها ..

وانبعث من بين فرجتي الستار بصيص من الضوء .. وراى "جرفيز" و"امبرت" جالسين إلى جوار الخزانة .

وكان الزوجان منهمكين في عملهما لا يلتفتان إلى ما يدور حولهما .

ولا يتبادلان من الكلام إلا ما ندر . وقاس "لوبين" المسافة التي تفصل بينه وبينهما . وقدر في ذهنه الوقت الذي يكفيه للانقضاض عليهما وصرعهما قبل أن يصرخا مستنجدين .

وحين تهيا للوثوب عليهما سمع "جرفيز" تقول :

– لقد انهكني التعب وثقلت اجفاني فلابد لي من ان اوي إلى فراشي فماذا تنوي انت ان تفعل ؟

– ينبغي أن افرغ من العمل اولاً .

– تفرغ . ! إنك إذن لن تفرغ قبل ان تشرق الشمس . !

– لا اظن ان الامر سيستغرق مني اكثر من ساعة .

وغادرت "جرفيز" الغرفة .

وتتابعت الدقائق حتى انتظمت الثلاثين .

ودفع "لوبين" النافذة قليلا . واهتزت الستائر .

وادار "لادوفيك" راسه .. وحين راى هبات الريح تهز الستار نهض ليغلق النافذة .

ولم تنطلق من فمه صرخة واحدة .. لا ولم يقع شيء من النضال ..

بضربات فنية دعامتها الدراسة العلمية صرع "لوبين" "لادوفيك" .. ولكن دون أن يسبب له اذى او يصيبه بجرح .. ثم لف راسه في الستار واوثق قياده فاستحال عليه بذلك ان يصرخ مستنجداً او ان يتبين وجه المعتدي .

ثم مضى مسرعا إلى الخزانة فانتزع منها ملفين تابطهما . وفي هدوء غادر المكتب وعبر البهو وهبط الدرج واجتاز الفناء . ثم خرج إلى الطريق من الباب الخلفي .

وفي الطريق .. كانت هناك مركبة في انتظاره .

والقى "لوبين" إلى الحوذي بالملفين وهو يقول :

– إليك هذين اولا . ثم اتبعني .

وتسلل الرجلان إلى المكتب ثانية . وترددا بين المكتب .. والمركبة ثلاث مرات .. وفي هذه الرحلات استطاعا ان يجهزا على محتويات الخزانة وينقلا ما فيها إلى المركبة .

ثم صعد "لوبين" إلى غرفته فطوى الحبل وحمل معه كل اثر يمكن ان

ينم عن شخصية السارق .

اخيراً .. تم له النصر .. وانتقلت ملايين "امبرت" إلى حوزة "ارسين لوبين" ..!

بعد بضع ساعات من وقوع السرقة اخذ "لوبين" ومساعده يفرغان محتويات الملفات .

ولم يستشعر "لوبين" شيئا من الياس والقنوط . حقيقة ، إن ثروة "امبرت" لم تبلغ ما كان مرجواً . ولم ترتفع إلى الرقم الذي رددته الشائعات ولكنها كانت ثروة محترمة على اي الأحوال . لم تكن مائة مليون فرنك . لا ولم تكن عشرة .. ولكنها مع هذا كانت ثروة تستحق ما بذل في سبيلها من جهد ووقت . وكانت دعامتها سندات مضمونة من الطراز الاول ..

سندات قروض المجالس البلدية ، وسندات دين الحكومة ، وسندات المناجم الشمالية ، وسندات السكك الحديدية .. الخ .

وغمغم "لوبين" يقول :

– إني مغتبط بما اصبت .. ! إني مغتبط بما اصبت . لست انكر ان هناك سندات .. شخصية لن استطيع بيعها . ولست انكر ان السندات التي لحاملها ستباع بثمن بخس .. ولكني مع ذلك مغتبط راض .. إن مئات الالوف التي ساظفر بها يمكن أن تكون بداية طيبة اتخذ منها دعاية لمشروعاتي المستقبلة .!

– وبقية السندات والاوراق . ؟

– احرقها يا بني .. احرقها فلا نفع لها لدينا .. اما السندات التي لحاملها فساحتفظ بها حتى تحين الساعة الملائمة لبيعها . !

وفي الصباح لم ير "لوبين" ما يحول دون ذهابه إلى بيت "امبرت" كالمالوف .

لن تتطرق الشبهات إليه ولن يرتاب احد في أمره .

ولكن الصحف طالعته بنبا عجيب لم يكن يتوقعه . لقد هرب "امبرت" وزوجته.! وفتحت الخزانة في احترام وخشوع .. وتولى فتحها أحد القضاة منتدبا من قبل المقرضين .. ولكنها وجدت فارغة . ! لم يترك

فيها "ارسين لوبين" إلا سندات "متناثرة" لا قيمة لها . !

* * *

تلك هي الوقائع الثابتة المتعلقة بملايين "امبرت" . !

ولقد قص "لوبين" بنفسه هذه التفاصيل على صديقه "روبير" المحامي في مساء أحد الأيام وهو يذرع مكتبه جيئة وذهابا وعيناه تلتمعان على شكل لم يعهده "روبير" من قبل .

وقال المحامي الشاب :

- إذن فقد ظفرت بصفقة عظيمة . !

فابتسم "لوبين" وقال :

- لا يزال في هذا الحادث يا صديقي اسرار مستغلقة غامضة لا سبيل إلى استكناه معمياتها . وعلى الرغم من الإيضاحات التي زودتك بها فإن الغموض يكتنف هذه المسالة . فمثلا : ما البواعث التي حفزت "امبرت" وزوجته إلى الفرار . ؟ لماذا لم يستغلا سطوي على الخزانة لمصلحتهما . ؟ لقد اسديت إليهما بهذا السطو خدمة جليلة كان ينبغي أن يستفيدا منها .. وما كان ايسر أن يقولا للناس وللمرابين : « لقد كانت الملايين هنا .. مودعة في هذه الخزانة اما الآن فهي ليست هنا لانها سرقت ! » ولو انهما قالا هذا لأمن الناس بما يقولان .

فقال المحامي مفسراً :

- لعلهما فقدا الصواب فتصرفا تصرف الحمقى . !

- هذا صحيح .. نعم .. لقد اضاع صوابهما فلم يعودا يدريان ما يصنعان . ومع ذلك فإن للمسالة تعليلا آخر .

- اي تعليل .. ؟

فابتسم "لوبين" ولم يزد على ان قال :

- لا شيء .. لا شيء .. !

ولم يغب عن المحامي "روبير" ان صديقه "لوبين" لم يطلعه على اسرار الملايين كلها وإنما كشف له بعضها وكتم البعض . فلم هذا التكتم ؟ ولم هذا الإبهام . ؟

ولم يكن "روبير" بالذي يجهل ان الإلحاح لن يفيده شيئا وما دام "لوبين" قد آثر الكتمان فلن يفلح ، مهما الحف في الرجاء ، في ان ينتزع منه ما يريد ان يطوي . على انه لم يقنط من الوصول إلى الحقيقة المستورة وراح يلقي على صاحبه طائفة من الأسئلة علّه يستطيع بها ان يثير في صاحبه رغبة في الكلام فقال :

- الم تلتق بالزوجين بعد ذلك . ؟

- نعم لم التق بهما بعد ذلك .

- الم يحدث في يوم من الأيام ان خالجك .. شعور من العطف على هذين البائسين المنكودين . ؟

فهتف "لوبين" في لهجة تدل على الانفعال :

- انا . !

وادهش انفعاله المحامي "روبير" .. فهل تراه قد اصاب الهدف . ؟ اتراه عرف كيف يثير من "لوبين" مواضع الاهتمام . ؟

قال "روبير" :

- بالتاكيد ، إذ لولا تدخلك لما اضطرا إلى الفرار ، او لهربا وجيوبهما محشوة بالمال .

- إذن فانت تتوقع مني ان يخالجني الندم . ؟ اليس كذلك . ؟

- بلى .. يمكنك ان تقول هذا .

فضرب المكتب بقبضة يده في عنف وقال :

- إذن فانت ترى انه كان ينبغي ان اندم . !

- يمكنك ان تسميه ندما او اسفا ، او شعورا من هذا القبيل . !

- وهل يستحق هذان الشقيان شعورا من هذا القبيل . ؟

- لا تنس انك سلبت هذين البائسين ثروة كبيرة ..

- اية ثروة .. ؟

- بالتاكيد السندات التي سرقتها من الخزانة ..

- سندات .. ! السندات التي سرقتها من الخزانة .. ! إذن فقد سرقت انا السندات من خزانتهما .. ! حصتهما من الإرث .. اهذا ما تعتقد

اني فعلت .. ؟ هذه جريمتي في رايك .. ؟ يا إلهي .. ! الم تدرك بعد يا صديقي ان هذه السندات كانت مزورة .. ! اسمعت ما اقول .. ؟ هذه السندات كانت مزورة .. مقلدة .. ! مزيفة .. !!

فارسل "روبير" إلى صديقه "لوبين" نظرة تنطوي على الدهش وقال :

– ماذا تقول .. ؟ اكانت هذه الملايين مزورة .. ؟

فصاح "لوبين" في غضب :

– نعم مزورة .. ! كلها مزورة .. ! كلها مزورة .. سندات دين الحكومة .. سندات قروض المجالس البلدية .. سندات السكك الحديدية .. كلها مزورة .. كلها لا تساوي ثمن الورق الذي طبعت عليه .. كلها لا تساوي فرنكا واحدا ..! نعم .. لا تساوي فرنكا واحدا .. ! لقد خدعني اللصان..! لصان حقيران وضيعان يخدعان "ارسين لوبين" العظيم ..! وقد انخدعت كما ينخدع اي مغفل لا يفهم .. !

واخذ بدنه يهتز ويرتعد غضبا وقد نمت نظراته عن الانفعال الشديد.. كان ثائرا مهتاجا .. من اجل كرامته المهدرة !

– لقد خدعاني يا صديقي من البداية حتى النهاية .. ! نعم .. من البداية حتى النهاية اتخذا مني العوبة يلهوان بها ويسخران منها ..! لقد اتخذا مني جسراً يصلان بواسطته إلى تحقيق اغراضهما .. الم تدرك بعد اي دور اديت في هذا الحادث .. ؟ لقد زعم الشقيان انني "اندرو راوفورد" . ! نعم .. يا صديقي . وقد وقعت في الفخ المنصوب .. ولم تنكشف لي الحقيقة دون شك إلا بعد فرارهما حين اطلعت على الصحف .

كنت اعتقد اني انزل في دارهما بصفتي منقذ الزوج من الاعتداء الذي وقع على حياته .. ! والواقع انهما مضيا يذيعان انني"راوفورد"..!! اليست خدعة بديعة .. ! والواقع انهما مضيا يذيعان انني "ر وفورد" .. ! انا الوريث الثاني الذي ينازعهما الارث وينثر العقبات في سبيل استيلائهما على السندات وتصرفهما فيها..! هذا الشاب المقيم في الطابق الثاني .. هذا الشاب الخجول

الذي يؤثر العزلة .. ! هذا الشاب إنما هو "اندرو راوفورد" .. !

هكذا اخذا يزعمان للمرابين والمقرضين . ! وحين عبرت البهو وسمعت "جرفيز" تقول : إنني خجول مولع بالاعتكاف إنما كانت تتحدث عني بصفتي "راوفورد" .. ! وكانت تتحدث إلى اثنين من المرابين .. وامام هذا الادعاء اطمان المرابون ... واطمانت البنوك .. واطمان المقرضون ان "راوفورد" يقيم معهما في بيت واحد ... إذن فقد ان للنزاع ان ينتهي .

إذن فقد دنت ساعة فتح الخزانة ... إذن فقد حان الوقت للتصرف في السندات الحبيسة

إذن فقد دنت ساعة فتح الخزانة ... إذن فقد حان الوقت للتصرف في السندات الحبيسة .. ! عند هذا اطمان المقرضون وسخت ايديهم من جديد وراحوا يقرضون "امبرت" وزوجته ... وكل هذا باسمي .. ! كل هذا ظنا منهم انني حقيقة "راوفورد" وان الصلح تم بيني وبين "امبرت" وزوجته .. ! وكل هذا وانا غافل لا ادري شيئا عن الشباك التي تحاك حولي .. ! "ارسين لوبين" الذي ينصب الفخاخ ويوقع فيها اذكى الناس قد وقع بدوره في فخ نصبه له غبيان لا يفهمان .. إنه درس لن ينسى.!

ثم امسك بغتة عن الكلام . واخذ بذراع صديقه وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة .. ابتسامة هي مزيج من الالم والسخرية . وقال :

– هل تعلم يا صديقي ان "جرفيز امبرت" مدينة لي الان بمائتي فرنك؟

وما سمع "روبير" هذه الجملة حتى انفجر يضحك ... لم يستطع ان يحبس الضحكات امام هذا الموقف العجيب . !

ولم يغضب "لوبين" وإنما اخذ يضحك بدوره وقال :

– نعم .. إنها مدينة لي بمائتي فرنك . ! لم تكتف اللعينة بعدم إعطائي مرتبي وإنما اقترضت مني مائتي فرنك . ! نكتة جميلة . !! جاء "لوبين" يسرق فسرق..! جاء يخدع فخدع .. ! جاء ينصب ويحتال

فكان الضحية .. ! اضحك معي يا صديقي .. ! "لوبين" العظيم .. "لوبين" الذي هزأ بـ"جانيمار" .. وعبث بـ"شرلوك هولمز" .. ولعب بـ"بيشو" .. "لوبين" يذهب ضحية رجل وزوجته تنم ملامحهما عن الغباوة .. ! تلك اول مرة اسرق فيها .. اول مرة اخدع .. ولكنها الخدعة الكبرى .. ! ومحال ان انساها .. ! ولكنها كانت درسا عظيما .. درسا دفعت أجرا له الملايين التي لم اجد لها اثرا .. والمائتي فرنك .. !

الفصل الثاني

اللغز

أخذ المحامي "روبير" يستعيد إلى ذاكرته حادث الخدعة الكبرى التي جازت على "لوبين" ، وكيف استطاع "امبرت" وزوجته ان يخدعاه ويسلباه مائتي فرنك وهو الرجل الذي قضى حياته كلها يسلب الناس اموالهم . !

وتناول "روبير" مذكراته فدون فيها تفاصيل هذا الحادث العجيب وعقب عليها بقوله :

«وما كنت لأصدق ما وقع وما كنت لاومن بحرف واحد مما سمعت لولا ان "لوبين" نفسه هو الذي روى لي تفاصيل هذا الحادث إذ عهدي به يمتاز بذكاء خارق يسمو حتى يبلغ درجة المعجزة . وفي هذا دليل على ان الذهن البشري يركد في بعض الأحيان وتاخذه فترة يقصر فيها دون العمل .

ولقد دونت منكراتي من قبل بعض وقائع "لوبين" التي ابدى فيها من سرعة البديهة وحدة الذكاء وتوقد الذهن ما ادهش المطلعين وانهلهم . وهانذا أسجل واقعة جديدة هي في ذاتها لغز معقد لا سبيل إلى جلاء غوامضه وإزاحة ما يكتنفه من أستار الظلام لولا ان جاء "لوبين" فكشف عن اللغز حجبه وبدد إبهامه .

كنت في مكتبي ذات يوم فإذا بالباب يفتح وسمعت صوتا يقول :

- تلقيت برقيتك فحضرت . فماذا هناك . !

وكان المتكلم يرتدي ثيابا داكنة اللون وفوق راسه قبعة عريضة الحافة ، وفي عروة سترته شريط احمر . أما شاربه فقد وخطه المشيب.!

ولولا اني كنت اترقب قدوم "لوبين" ما بين لحظة واخرى لاستحال علي أن اتبين صديقي العزيز في هذا الرجل المسن المتداعي الأوصال .

وقلت مسروراً :

- ماذا هناك . ؟ شيء خطير دون شك .. مجرد مصادفة ليس إلا ولما كنت أعلم ولعك بحل الطلاسم وفك المعميات فقد ...

فقاطعني "لوبين" بقوله :

- وبعد . ؟

- يلوح لي انك على عجل من امرك .

- هو ذاك .. إلا إذا بدا لي أن لغزك جدير باهتمامي .. فهيا حدثني بما لديك ولا تضيع الوقت في السفاسف .

- حسنا .. وسابدأ بان اطلب إليك ان تلقي نظرة على هذه الصورة التي ابتعتها منذ اسبوع او اسبوعين من حانوت عتيق لبيع التحف والعاديات القيمة، والصورة كما ترى حقيرة لا تستحق شيئا من الاحتفال ولكني ابتعتها لأجل إطارها الذي يرجع تاريخه إلى عهد الإمبراطورية وما فيه من نقوش جميلة تسترعي الأبصار .

فلما فرغ "لوبين" من فحص الصورة قال مؤمنا :

- إنها كما تقول صورة حقيرة تافهة ، ولكن موضوعها طريف جميل. انظر إلى .. ركن الفناء .. والعمد الإغريقية .. والمزولة الشمسية والبحيرة الصغيرة .. والمقاعد الحجرية .. والدرج الرخامي .. وهذه الخرائب المتناثرة .. كل هذا فاتن ساحر .. ولو ان ريشة مصور عبقري هي التي جرت بهذا المنظر لكان تحفة نادرة . !

فقلت :

- مهما يكن من امر الصورة ، فإنها لم تنزع من إطارها الإمبراطوري وفضلا عن ذلك فهي مؤرخة .. انظر إلى الركن الأيسر السفلي .. هذه الأرقام الحمراء .. إنها ١٥ - ٤ - ٢ أي ما معناه ١٥ ابريل سنة ١٨٠٢ ..

- معقول .. معقول .. ولكنك اشرت في حديثك إلى المصادفات . فاين هي هذه المصادفات التي تتحدث عنها ؟

فذهبت إلى ركن الغرفة واتيت بتلسكوب ثبته على مقربة من النافذة وسددت منظاره إلى نافذة مفتوحة في تلك الغرفة الصغيرة المقابلة لمكتبي هي تقع في الناحية الأخرى من الطريق .. وطلبت إلى "لوبين" ان ينظر من خلاله .

تقدم "لوبين" من المنظار والصق عينه بفوهته .

وكانت أشعة الشمس ترسل فيضا من نورها إلى الغرفة المقابلة يكشف منها خباياها . ويبدي للعين اثاثها العادي المؤلف من بضعة

مقاعد وفراشين احدهما كبير والثاني لطفل .

وهتف "لوبين" فجاة يقول :

- اه نفس الصورة . !

- نعم نفس الصورة .. ! ونفس التاريخ .. ! هل استطعت ان تقرأ التاريخ المكتوب باللون الأحمر . ؟ ١٥- ٤ - ٢

- نعم قراته .. ومن الذي يقطن هذه الغرفة ؟

- سيدة .. او بعبارة اخرى عاملة . لانها مضطرة إلى العمل في سبيل لقمة العيش .

إنها تشتغل بالتطريز ولا تكاد تصيب من المال ما يقوم باودها واود طفلها .

- ما اسمها . ؟

- "لويز درنمونت" . وقد قيل لي : إنها حفيدة احد القواد الذين ظهروا في الأرياف على عهد الثورة . وقد ارسل إلى المقصلة في زمن الإرهاب .

فقال "لوبين" :

- نعم .. في نفس الوقت الذي اعدم فيه "اندريه شنييه" .. ولو انك درست المذكرات التي كتبها رجال ذلك العهد لعرفت منها ان "درنمونت" هذا كان من كبار الأغنياء .

ثم رفع عينه عن المنظار وقال :

- إنها حكاية مسلية لذيذة .. ولماذا كتمت عني الأمر حتى اليوم ؟

فقلت مجيبا :

- لأن اليوم يوافق ١٥ ابريل . !

- واي شيء في هذا . ؟

- لقد عرفت بالامس أن ليوم ١٥ ابريل شانا خطيراً في حياة "لويز درنمونت" . بهذا سمعت البواب يتحدث مع نفر من اصحابه .

- هراء . ! كلام فارغ . !

- من عادة هذه المراة ان تشتغل كل يوم لا تتخلف عن عملها يوما واحداً . تطهو طعامها بنفسها بمجرد عودتها من عملها . وتنسق مسكنها وتكنسه . إنها تعيش عيشة منظمة . ولكن إذا ما حل يوم ١٥

ابريل نكثت كل عاداتها وغايرتها ، فإذا بها تخرج مع ابنتها الصغيرة في الساعة العاشرة صباحا ولا تعودان إلا عند منتصف الليل . ولقد وقع هذا عاما بعد عام ، اعواما كثيرة متصلة . فلا مفر لنا من الاعتراف بان هناك شيئا غريبا يتصل بهذا التاريخ المدون في ركن الصورة التي لدينا . والذي دون ايضا في ركن صورة اخرى مطابقة تماما للصورة التي معنا .

فقال "لوبين" في كلمات بطيئة :

– نعم .. إن الأمر يبدو غريبا . ! إنك على حق فيما ذهبت إليه .

ثم اردف يقول :

– ولكن الم تصارح "لويز درنمونت" احدا بالمكان الذي تختلف إليه في هذا التاريخ . ؟

– نعم لم تصارح احدا .. فهي امراة قليلة الكلام ميالة إلى العزلة والاعتكاف . – اموقن انت من صحة هذه البيانات التي افضيت بها إلي . ؟

– كل اليقين .. وسترى الآن بعينيك مصداق قولي . انظر .

وفتح باب في صدر الغرفة المقابلة دخلت منه طفلة في السابعة او الثامنة من عمرها واقبلت على النافذة تطل منها على الطريق . وإن هي إلا لحظات حتى لحقت بها سيدة وسيمة الوجه ترتدي ثيابا سوداء عابية تدل على سلامة الذوق وتطالعك ملامحها بالرقة والوداعة .

وهمست اقول :

– ارايت . ؟ إنهما متهيئتان للخروج .

واخذت الأم بذراع الطفلة وزايلت الغرفة . وتناول "لوبين" قبعته وهو يقول :

– الا تحب أن ترافقني . ؟

وكان الفضول قد اشتد بي وبلغ مني درجة حالت دوني والاعتراض فتناولت قبعتي بدوري وتبعت "لوبين" .

ولما خرجنا إلى الطريق رايت جارتي تدخل حانوتا لبيع الخبز فابتاعت رغيفين دستهما في سلة صغيرة تحملها ابنتها ويلوح انها

كانت عامرة فعلا بشيء من المئونة . ثم انطلقنا صوب الضواحي وعرجنا إلى ميدان النجمة ، ثم اخذتا تسيران في شارع (كليبر) متجهتين إلى (باسي) .

سار "لوبين" في إثر المراة وهو غارق في الصمت لا ينبس بكلمة واحدة . وكان جليا ان الخواطر قد استغرقته . وقد سرني اني كنت سببا في شحذ ذهنه وإثارة انتباهه وكنت اسمعه ما بين وقت وآخر يردد من الكلمات ما تبينت منها ان اللغز لا يزال عنده غامضا مستغلقا .

وعرجت "لويز درنمونت" إلى اليسار ومشت في شارع "رانوارد" وهو طريق هادئ تقوم على جانبيه بيوت من طراز عتيق قد الحقت بكل منها حديقة صغيرة حتى لكان المرء في قلب الريف . وكان نهر (السين) يجري في محاذاة الطريق ، والأزقة والحواري الضيقة تتفرع من الشارع متجهة إلى النهر .

وانعطفت جارتي إلى إحدى تلك الحواري الضيقة التي تنعدم فيها اقدام السابلة . وكان اول بيت يقع إلى اليمين يشرف على شارع (رانوارد) وتلاه جدار مرتفع تعلوه الأعشاب والنباتات المتسلقة .

وفي منتصف هذا الجدار باب منخفض وقفت عنده "لويز درنمونت" وفتحته بمفتاح بدا ضخما كبير الحجم .

ومال إلى "لوبين" يقول :

– مهما يكن من الأمر . فإن عملها بعيد عن الريب والشبهات لأنها لم تلتفت وراءها مرة واحدة . فلو انها كانت تعلم انها مقدمة على عمل اثيم لاسترابت وتلفتت حولها متوجسة .

وما إن فرغ من حديثه حتى سمعنا خلفنا وقع اقدام ، ورأينا شحاذين عجوزين – رجلا وامراة – في ثياب بالية مهلهلة تعلوها القذارة ، وتكاد لكثرة تمزقها وخروقها تكشف بدنيهما . وتابع الشحاذان طريقهما دون ان يلقيا إلينا نظرة واحدة . واخرج الرجل من جيبه مفتاحا ضخما شبيها بمفتاح جارتي ودسه في الثقب وإن هي إلا لحظات حتى توارى مع زميله وراء الباب .

وفجاة بدا في آذاننا دوي سيارة عند راس الحارة . فجذبني "لوبين"

من ذراعي وسرنا مسرعين حتى بلغنا ركنا استطعنا ان نتوارى فيه فنرى دون ان يفطن إلى وجودنا احد .

وبعد قليل راينا فتاة مقبلة من اقصى الحارة وقد ضمت إلى صدرها كلبا صغيرا . وكانت ترتدي ثيابا انيقة فاخرة وتزين صدرها.. ومعصميها الحلي والجواهر . وكان شعرها اشقر وعيناها سوداوين . وما جرى من قبل جرى الآن.. اخرجت من حقيبتها مفتاحا ضخما دسته في ثقب الباب . ثم دخلت واغلقته خلفها .

قال "لوبين" وهو يضحك :

– إن اللغز يبشر بما يثير الاهتمام ! واغلب ظني انه سيتكشف عن اعجب العجائب . ! ليت شعري اية صلة تجمع بين هؤلاء القوم المختلفي الطبقات المتبايني الأشكال . ؟ امراة فقيرة تكد وتكدح في سبيل لقمة العيش .. وشحاذان يستجديان الناس ما يسد جوعهما .. وامراة متانقة على حظ من الثراء . !

وبعد ذلك راينا امراتين طاعنتين في السن والشبه بينهما شديد حتى لكانهما اختان ، ومظاهر الفاقة بادية عليهما ، وتلاهما خادم في ثيابه الرسمية الموشاة. ثم جندي مبتور الساق . ثم رجل بدين الجسم يرتدي سترة عتيقة ، واخيرا راينا اسرة باكملها . الاب والام واربعة اطفال وكانوا جميعا شاحبي الوجوه هزيلي الأبدان يتابط كل منهم سلة صغيرة ملأى بطعامه .

فقلت مغمغما :

– كاننا إزاء نزهة . !

فابتسم "لوبين" وقال :

– إن الأمر يبدو في الواقع مدهشا مثيرا .. ! ولن يهدأ لي بال حتى اتبين ما يجري خلف هذا الجدار . !

ولم يكن هناك خفاء في ان تسلق الجدار ادنى إلى الاستحالة لارتفاعه . ومما يؤسف له انه لم يكن للمنزلين المجاورين للجدار نوافذ تطل على الساحة الواقعة وراء الجدار .

وفي خلال الساعة التالية لم يحضر أحد من جديد . ومضيت و "لوبين" نتدبر الأمر ونقدح ذهنينا بغية ان نتفتق عن خطة تهيىء لنا

سبيلا إلى الدخول . وبعد ان استعرضنا جميع الوسائل لم ير "لوبين" مندوحة من ان يسعى إلى احد الحوانيت القريبة فيبتاع سلما وقبل ان ينصرف فتح الباب وبرز منه احد اطفال العامل الفقير الذي كان آخر من جاء مع اسرته .

وانطلق الغلام مسرعا صوب شارع (رانوارد) ثم عاد بعد دقائق يحمل زجاجتين مملوءتين بالماء وضعهما على الإفريز ريثما يخرج المفتاح من جيبه .

وكان "لوبين" في خلال هذا قد زايلني وسار في محاذاة الجدار حتى صار على قيد خطوة من الباب . فلما دخل الغلام وهم باغلاقه وثب "لوبين" في حركة سريعة فدس نصل مبراته في الثقب الذي يستقر فيه لسان القفل . فدار جهاز القفل على نفسه ولم يلج اللسان موضعه المالوف ، ولم يكن اهون إذ ذاك من دفع الباب والدخول .

وقال "لوبين" :

– لقد نجحت الخدعة .. !

ودفع "لوبين" الباب في حرص وحذر .. ثم لم يلبث ان دخل في جراة نادرة اذهلتني . ولكن حين اقتفيت خطواته رايت خلف الجدار وفي محاذاته تماما سياجا من الأعشاب النامية والشجيرات حجبنا عمن في الداخل فلم يرونا ونحن نقتحم عليهم المكان .

وتوارى "لوبين" وراء الشجيرات . وحذوت حذوه فوقفت إلى جواره ثم ازحت الأغصان قليلا حتى يتسنى لي ان ارى ما يجري هناك ولقد اذهلني ما رايت إلى درجة لم اتمالك .. معها نفسي من ان اطلق من صدري آهة تنطوي على الدهشة والاستغراب . اما "لوبين" فتمتم يقول:

– يا إلهي .. إنه لغز محير ولذيذ .. ! راينا في الساحة الواقعة خلف الجدار نفس المنظر الذي رايناه من قبل في تلك الصورة العتيقة التي ابتعتها من حانوت التحف والعاديات .. ! نعم .. نفس المنظر .. حتى لكان الصورة انقلبت مشهدا حيا .. !

على ان الشيء الذي ضاعف من استغرابنا إنما هو ذلك التاريخ المدون في ركن من الصورة .. يا إلهي .. ! ١٥ ابريل .. ! ما معنى ذلك

وأي سر ينطوي تحت هذا التاريخ .. ؟ واليوم يوافق نفس هذا التاريخ .. ! وهؤلاء المجتمعون .. ! إنهم يختلفون اختلافا بينا ..

فمنهم الكهل ومنهم الشاب .. ! منهم الثري ومنهم الفقير .. ! منهم المثقف المهذب ومنهم الجاهل الذي لم يتلق من العلم حظا .. !

ومع ذلك جمع بينهم ١٥ ابريل فخفوا جميعا إلى هذا المكان من اركان باريس واقاصيها .. !

وكان القوم في هذه اللحظة متناثرين على الدرج الرخامي وعلى المقاعد الحجرية وهم منهمكون في تناول الطعام . وعلى مقربة من جارتي وابنتها رايت أسرة العامل والشحاذين ياكلون معا . على حين اجتمع الخادم والرجل البدين والجندي والأختان يتقاسمون معا ما اتوا به من طعام. أما السيدة ذات الكلب - وكانت لم تات معها بشيء من الطعام - فاعتزلت الجمع وجلست في ركن قصي واولاها الحاضرون ظهورهم كانما يرمون إلى إعلان نفورهم منها . وتحولت "لويز درنمونت" إلى السيدة وقدمت لها قطعة من السندوتش فحذت الأختان حذوها . ولم يلبث الجندي المبتور الساق ان اخذ بدوره يتودد إليها .

وبلغت الساعة منتصف الثانية بعد الظهر ، فاخرج الشحاذ غليونه من جيبه ، وكذلك فعل السيد البدين . ولم يكن مع الثاني عود من الثقاب فجمعت بينهما الحاجات المشتركة ووقفا يدخنان وقد اجتمعت حولهما النساء . وكان جليا ان افراد هذه الجماعة على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم يعرف بعضهم بعضا معرفة وثيقة . ولقد كانوا منا على مسافة غير قصيرة فتعذر علينا ان نسترق السمع لما يدور بينهم من أحاديث ، على اننا ما لبثنا ان ادركنا ان لهجة الحديث اشتدت وقويت . وكانت صاحبة الكلب اشد القوم حماسة فقد انطلقت تتحدث في لهجة حادة وهي تؤيد كلماتها بإشارات عنيفة من يديها جعلت الكلب ينبح بشدة .

وفجاة تعالت الصرخات واعقبها صيحات الغضب واندفع الحاضرون جميعا - رجالا ونساء - صوب البئر القائمة في ركن الحديقة . وفي هذه اللحظة كان احد ابناء العامل قد بدا يخرج من

البئر وهو مشدود إلى الحبل وإخوته يجذبونه إلى الخارج بإدارة محرك الدلو .

وكان الجندي اسرع الحاضرين حركة فانقض على الفتى وعاونه في ذلك الخادم والرجل البدين إذ امسكوا جميعا بتلابيبه . على حين وثب الشحاذان والأختان على العامل وافراد اسرته واخذوا ينهالون عليهم ضربا .

قلت وقد استولت علي حيرة شديدة :

- لا ريب انهم مجانين .. !

فهز "لوبين" راسه وقال :

- ليس في الأمر شيء من الجنون يا صديقي .. !

- ماذا تقول .. ؟ اتعني ان في وسعك ان تقع على تفسير لهذا المشهد العجيب الذي تراه .. ؟

ولبث "لوبين" صامتا لا يجيب عن سؤالي .

وحملت السيدة كلبها وانطلقت تجري في إثر الغلام ذي القميص المهلهل وهو يجري أمامها مطلقا من صدره صرخات مدوية . ودار الغلام حول الشجيرات التي تختبئ في وسطها . ثم القى بنفسه بين ذراعي امه .

وكانت "لويز درنمونت" قد اعتزلت هذا العراك منذ البداية فلما رات ان الامر قد اشتد تدخلت واستطاعت ان تهدئ من ثورة الغاضبين فارتدوا إلى مجالسهم ثانية . وإن كانت وجوههم ناطقة بما عراهم من اثر هذه المشاحنة فجلسوا صامتين لا ينبسون بكلمة وقد تجهمت منهم الوجوه .

واخذت الساعات تتتابع . واحسست جوعا شديدا ، فمضيت إلى شارع (رانوارد) وابتعت شيئا من الطعام تقاسمته مع "لوبين" ونحن منزويان في مكاننا خلف الشجيرات نرقب هذه المشاهد العجيبة التي تترى تحت ابصارنا .

وكان القوم لا يزالون على صمتهم ووجومهم . وكلما مر الوقت اشتدت بهم الكابة واستغرقتهم الخواطر ولاح كانما يرهق اذهانهم ونفوسهم وقر ثقيل .

وانقضت ساعات ما بعد الظهر على هذا النحو . وقد تناثرت السحب في صفحة السماء فارسلت إلى المكان ضوءا خافتا تشوبه الدكنة فاتفق ذلك وما يعلو وجوه القوم من كمد واكتئاب .

وتحولت إلى "لوبين" وقلت له في صوت تخالطه نبرة من السامة :

- افي نيتهم أن يمضوا الليل في مكانهم هذا .. ؟

ولكن عندما شارفت الساعة الخامسة مساء اخرج السيد البدين ساعته وجعل ينظر إليها متلهفا . وكذلك فعل الأخرون وامارات القلق بادية في ثنايا وجوههم كانما يترقبون وقوع حدث له عندهم شان عظيم .

ولكن الحدث الذي كانوا يترقبونه لم يقع ! فبعد ربع الساعة او ثلثها ردوا ساعاتهم إلى جيوبهم . وبدت مظاهر الياس والقنوط على وجه السيد البدين . ثم انبعث واقفا وارتدى قبعته .

وإذ ذاك جثت الاختان وزوجة العامل واخذن يرسمن علامة الصليب على صدورهن . اما السيدة صاحبة الكلب فاقبلت على المراة المستجدية وجعلت تقبلها وهما تبكيان . على حين اخذت "لويز درنمونت" تضم ابنتها إلى صدرها في توجع وتاثر .

وقال "لوبين" :

- هيا بنا ننصرف .

- اتعتقد انه لم يعد هناك ما يدعونا للبقاء .. ؟

- نعم والوقت لا يكاد يتسع لخروجنا وإلا لفطنوا لوجودنا .

وزايلنا مخبانا دون أن يرانا احد . وعند راس الحارة تركني "لوبين" ودخل اول منزل في شارع (رانوارد) .

وبعد حديث قصير مع البواب رجع إلي فاستدعينا إحدى سيارات الأجرة وسمعته يقول للسائق :

- ٣٤ شارع (دي تورين)

ويشغل الطابق الأرضي من المنزل رقم ٣٤ بشارع (دي تورين) مسجل يدعى الأستاذ "فالانديه" استقبلنا مرحبا بوجه باش .

وقدم إليه "لوبين" نفسه منتحلا اسم الكابتن "جينيوت" من رجال الجيش القدماء . وانباه انه يرغب في ان يبتني لنفسه بيتا في مكان

هادئ . وأن بعض أصدقائه ذكروا له ان هناك قطعة من الأرض تلائمه واقعة في شارع (رانوارد) ويقوم حولها سياج مرتفع من البناء .

فقال الأستاذ "فالانديه" :

- ولكن هذه القطعة غير معروضة للبيع .

- حقا .. ؟ لقد قيل لي إن ..

فقال المسجل مقاطعا :

- اخشى يا سيدي أن تكون المعلومات التي لديك غير صحيحة .

وزايل المحامي مقعده . ففتح دولابا في ركن الغرفة واخرج منه صورة عرضها علينا . وما وقع بصري عليها حتى اخذتني الدهشة .. مماثلة تماما للصورة التي ابتعتها من حانوت التحف والعاديات .. ! ومماثلة للصورة التي رايتها معلقة في غرفة "لويز درنمونت" .

وقال المحامي :

- هذه الصورة تمثل قطعة الأرض التي نحن في صددها . وهي معروفة باسم "حظيرة درنمونت" .

- تماما .

استطرت المسجل يقول :

- ولقد كانت هذه الحظيرة فيما مضى شطرا من حديقة كبيرة يملكها الجنرال "درنمونت" الذي اعدم في عهد الإرهاب . وقد باع الورثة أملاكه قطعة بعد قطعة كلما الحت عليهم حاجات الحياة . فلم تبق إلا هذه الحظيرة واعتقد انها ستبقى دائما ملكا مشتركا بينهم .. إلا إذا ..

وامسك المسجل عن الحديث واخذ يضحك . ثم استطرد يقول :

- إنها قصة خيالية ! نعم قصة خيالية شائقة ! ولطالما سليت نفسي بتقليب النظر في الوثائق والمستندات المتعلقة بهذا الحادث .

- ايكون فضولا مني أن اسالك شيئا من الشرح والإيضاح .. ؟

- لا .. لا ..

ولاح على الأستاذ "فالانديه" انه على النقيض .. مبتهج بان يقع على من ينصت إلى قصته .

وبغير إلحاح منا او إلحاف اخذ يروي لنا القصة قائلا :

- في مستهل عهد الثورة زعم "لويس اجريبا درنمونت" انه ماض

إلى جنيف ليلحق بزوجته وابنته "بولين" . فاغلق منزله في ضاحية (سانت جرمين) وطرد خدمه . ثم رحل مع ابنه "شارل" . ولكنه لم يسافر إلى جنيف وإنما اقام في (باسي) في المنزل الذي كان يتخذه للهو . ولم يدر بالأمر احد إلا امراة عجوز مخلصة كانت تتولى الإشراف على شؤون سيدها .

ولبث "لويس درنمونت" في مخبئه ثلاث سنوات كاملة وقد ايقن انه لن يكتشف سره أحد ، إلى ان كان يوم – وهو يصيب غفوة بعد الغداء – دخلت عليه الخادمة العجوز مروعة فزعة . لقد رات عند راس الباب شرذمة من الجند يلوح انهم يقصدون الدار . فهب "لويس درنمونت" مسرعا . وفي اللحظة التي طرق فيها الجند الباب كان قد تسلل من الباب المفضي إلى الحديقة وهو يصيح بابنه "شارل" ان يشغل الجنود بالحديث ولو خمس دقائق . ولعله كان ينوي الفرار عن طريق الحديقة فالفى الشارع المتاخم لها مراقباً محاصراً . ومهما يكن من الامر فقد رجع بعد ست او سبع دقائق . واجاب في هدوء تام عن الاسئلة التي وجهت إليه . ولم يبد شيئا من المقاومة حين طلب إليه الجنود ان يرافقهم . وقد اعتقل الجند ابنه "شارل" ايضا على الرغم من انه لم يتجاوز الثامنة عشرة .

وقال "لوبين" متسائلا :

– ومتى كان هذا . ؟

– في اليوم الخامس عشر من شهر ابريل .. يا إلهي .. ! اليوم هو ذكرى اعتقال القائد . !

وقال "لوبين" :

– مصادفة غريبة ! وبطبيعة الحال ترتبت امور خطيرة على هذا الاعتقال . ؟

– نعم .. فبعد ثلاث اشهر اطاحت المقصلة براس الجنرال العجوز وصودرت أملاكه كلها . اما ابنه "شارل" فبقي بين جدران السجون منسيا لا يذكره احد .

– وهل كانت الاملاك كثيرة . ؟

فابتسم المحامي وقال :

– هذا هو السؤال المربك المحير .. ! نعم .. كانت الأملاك كثيرة متشعبة ، ومع ذلك لم يدر احد لها مكانا واستحال الاهتداء إلى مواقعها . ولقد اتضح أن القائد العجوز باع جميع املاكه وجواهره وصوره الثمينة قبل الثورة إلى رجل انجليزي ، فاين امواله إذن . ؟ اين الثمن الذي بيعت به هذه الأملاك والمقتنيات؟ لقد امرت حكومة الإرهاب بإجراء تحقيق دقيق شامل ولكنه لم يسفر عن شيء .

فقال "لوبين" :

– ولكن بقي مع هذا بيت (باسي) . ؟

– لقد بيع ايضا .. وكان الذي اشتراه هو المواطن "بروكيه" . ! اي نفس الرجل الذي تولى القبض على الجنرال "درنمونت" ، واشتراه بثمن بخس لا يذكر .. وحين صار البيت إلى حوزته انزوى فيه واغلق على نفسه الابواب والنوافذ .. فلما اطلق سراح "شارل درنمونت" وذهب إلى مقابلة المواطن "بروكيه" بغيةاسترداد البيت الذي بيع بثمن يجعل الصفقة ادنى إلى الاغتصاب، لقيه "بروكيه" بإطلاق النار عليه فقاضاه الشاب امام المحاكم ، ولكن دعاويه رفضت كلها ، واستحال عليه استرداد الدار ، فلما ادركه الياس من هذه الناحية حاول ان يسترد البيت بشرائه ، من "بروكيه" فعرض عليه مبالغ ضخمة ولكن بلا جدوى ، فقد اصر "بروكيه" على الاحتفاظ بالبيت ، وما كان ليتخلى عنه لولا ان تدخل الإمبراطور "نابليون" في الأمر ، فاضطر إلى الجلاء عن الدار وهو كاره في يوم ١٢ فبراير من عام ١٨٠٣ وقد اشتد الفرح بـ"شارل" بعد ان كابد في سبيل استرداده ما كابد .. توسل بالحسنى فلم يفلح .. وبالمال ولم يفلح .. وبالمقاضاة ولم يفلح .. واخيراً تم له النصر . ! ولكنه كان نصراً قصيرا .. فحين بلغ الدار .. وقبل ان يتخطى عتبتها طغى عليه الفرح ، فاخذ يغني ويرقص ويضحك . ! لقد جن المسكين واصابه الخبال . !

فقال "لوبين" :

– حقا .. ! وما صار إليه امره بعد هذا .. ؟

– تكفلت بامره الخادمة العجوز التي كانت تشرف على شؤون ابيه . فضمته إليها واقامت معه في بيت (باسي) . وذلك ان امه واخته

"بولين" كانتا قد توفيتا في جنيف .. واخذت الأعوام تتتابع دون ان يجد اي حادث إلى ان كانت سنة ١٨١٢ فوقع فيها امر عجيب . وذلك ان الخادمة العجوز اشرفت على الموت فاستدعت شاهدين إلى فراشها وقصت عليهما وهي تحتضر ان القائد الشيخ احضر إلى بيته في (باسي) قبل اعتقاله بايام قليلة من الحقائب المملوءة بالذهب والفضة ولقد قص عليها الابن "شارل" ان اباه اخفى الحقائب في الحديقة في مكان خفي بين البئر والمزولة الشمسية والدرج . وتدعيما لقولها ارت الشاهدين ثلاث لوحات رسمها القائد الشيخ بنفسه اثناء اعتقاله واستطاع ان يرسلها سراً إلى الخادمة طالبا منها ان تعطي إحدى هذه اللوحات لزوجته والأخرى لابنته "بولين" والثالثة لابنه "شارل" عند الإفراج عنه .. ولكن العجوز و"شارل" كتما الأمر وقد استهوتهما الثروة المنتظرة . فلما جن "شارل" اخذت العجوز تبحث وحدها عن الكنز فاخطاها التوفيق فلم تر مندوحة من الإفضاء بما تعلم . وهكذا لا يزال الكنز في مخبئه في الحديقة .

فضحك "لوبين" وقال :

– وما زال حتى اليوم بالتاكيد . ؟

فقال الأستاذ "فلانديه :

– وسيظل هناك حتى الابد .. إلا إذا كان المواطن "بروكيه" قد استطاع ان يهتدي إلى الكنز في اثناء بحثه وتنقيبه . إذ لا ريب في انه شعر بما هنالك وإلا لما اشترى البيت ولما اصر على الاحتفاظ به ولكنني اعتقد ان التوفيق اخطاه ايضا إذ المعروف انه مات على فقر مدقع .

– وإذن . ؟

– وإذن فقد اخذ الجميع يسعون إلى الكنز . كانت "بولين" قد رزقت اولادا قبل موتها فجاءوا يبحثون .. وكان "شارل" قد تزوج سرا ورزق اولادا .. وهكذا تضافر الورثة جميعا على البحث عن الكنز الخفي .

– وما كان من شان "شارل" نفسه . ؟

– لزم غرفته لا يبرحها ولم يشترك في هذه الأبحاث .

– مطلقا . ؟

– تلك في الواقع هي اغرب ناحية من نواحي هذا اللغز .. لزم "شارل"

غرفته لا يبرحها إلا مرة في كل عام .. يغادر مسكنه كانما تدفعه قوة خفية لا تزال لها سيطرة على عقله المختبل . فيهبط إلى الحديقة ويتخذ نفس الطريق الذي سار فيه ابوه والجند يطرقون الباب على عهد الثورة . ثم يجلس على الدرج بالقرب من الباكية التي تراها في الصورة او يجلس على حافة البئر، فإذا ما بلغت الساعة الخامسة وسبعا وعشرين دقيقة زايل مجلسه وارتد ثانية إلى مخدعه . ولقد توفي "شارل" في عام ١٨٢٠ ولكنه لم يتخلف عاما واحدا عن القيام بهذا الدور . اما اليوم الذي اعتاد فيه ان يزايل مخدعه فهو يوم ١٥ ابريل من كل عام ..

ذكرى إلقاء القبض عليه . ولما بلغ الأستاذ "فالانديه" من قصته إلى هذا الحد كان الابتسام قد تبدد من وجهه ولم تعد ملامحه تنم عن السخرية والتهكم . ولاح عليه ان تلك القصة العجيبة اثرت في نفسه .

وبعد هنيهة من التفكير والتروي قال "لوبين" :

– وما الذي جرى بعد مائة عام انقضت بعد وفاة "شارل" ؟ ومع ذلك حرص ورثته وورثة "بولين برنمونت" على القيام بهذا الفرض المقدس في ١٥ أبريل من كل عام .. ففي اليوم المعهود يجتمعون في الحديقة ويمضون نهارهم فيها ولا يفارقونها إلا بعد الساعة الخامسة مساء .. وفي الأعوام الماضية الأخيرة قاموا بالبحث والتنقيب في الحديقة فلم يدعوا شبرا منها إلا قلبوه راسا على عقب . ولم يتركوا قطعة من الأرض إلا حفروها .. ولكنهم كفوا الآن عن هذه الأبحاث كانما ادركهم الياس وتقطعت بهم اسباب الرجاء فلم يعودوا يحفلون بالأمر . وقنعوا منه كله بأن يترددوا على الحديقة من حين إلى اخر فيقلبوا حجراً او يهبطوا إلى اغوار البئر يجوسون خلالها دون ان تحفزهم إلى ذلك اية بارقة من الأمل . فتراهم طيلة النهار جلوسا على المقاعد على الدرج صامتين واجمين لا يتحركون ولا يتكلمون كما كان شان "شارل" المخبول .. وإنهم مثله يترقبون وينتظرون .

ينتظرون بلا رجاء ولا جدوى .. وتلك هي الناحية المفجعة في هذا الحادث .. في خلال هذه السنوات المائة تعاقب جيل بعد جيل .. وكانوا جميعا ينتظرون .. وافقدهم الرجاء الكاذب القدرة على العمل ..

وكيف يعملون وهم يترقبون كنزا يغنيهم مدى الحياة .. ! إنهم ينتظرون .. ينتظرون يوم ١٥ ابريل .. فإذا ما حل اليوم الموعود اجتمعوا في الحديقة كانما يتوقعون ان تحدث معجزة او يهبط عليهم ملاك من السماء ينبئهم بمكان الكنز . ولقد انتهى بهم الأمر جميعا إلى الفقر المدقع فراى أسلافي ان يبيعوا البيت ليبتنوا سواه على طراز حديث يدر إيرادا . كما اقتطعوا جزءاً من الحديقة . اما هذا الركن (واشار إلى الصورة) فقد ابى الورثة ان يفرطوا في شبر واحد منه ... لقد اتفقت كلمتهم جميعا على عدم التفريط فيه ! "لويز درنمونت" (وريثة "بولين") والشحاذان .. والعامل .. والخادم .. وجميع اولئك الذين يمثلون "شارل" المسكين ..

وساد صمت قصير قطعه "لوبين" بقوله :

- وما رايك انت يا استاذ "فالا ندبيه" .. ؟

- رايي انه كنز موهوم لا اثر له من الحقيقة .. ايمكن ان نقيم وزنا لكلمات خادمة عجوز لم تنطق بها إلا وهي على فراش الموت .. ؟ اليس المعقول ان تكون كلماتها من قبيل هذيان الاحتضار .. ؟ وإذا فرضنا ان القائد خبا كنوزه في هذه الحديقة فهل من المعقول ان تظل مخفاة حتى اليوم على الرغم من البحث والتنقيب .. ؟ قد يسهل إخفاء ورقة او وثيقة في هذه الحديقة، اما إخفاء كنوز ضخمة لا يكشفها هذا البحث المتواصل فامر يدق على الأفهام، لذلك اعتقد ان الامر كله لا أصل له ولا ظل من الحقيقة .

- ولكن ما رايك في الصور .. ؟

- آه .. بالتاكيد .. ولكن ايمكن ان تقوم الصور دليلا حاسما .. ؟

ومال "لوبين" فوق الصورة هنيهة يفحصها ثم رفع راسه وقال :

- ولكنك اشرت في حديثك إلى ثلاث صور فاين الصورتان الباقيتان؟

- هذه الصورة أعطاها بعض ورثة "شارل" إلى سلفي . اما الصورة الثانية فموجودة لدى "لويز درنمونت" .

- والصورة الثالثة .. ؟

- لا يعرف احد مصيرها .. !

- اتحمل الصور الثلاث نفس التاريخ .. ؟

- نعم .. و"شارل درنمونت" هو الذي كتبه بنفسه حين احاط الصور بإطاراتها ، وكان ذلك قبل موته ببضعة اعوام .. نفس التاريخ اي ١٥ - ٤ - ٢

والرقم الأخير معناه العام الثاني من اعوام الثورة اي سنة ١٧٩٤ وهو نفس اليوم الذي اعتقل فيه الجنرال "درنمونت" وابنه "شارل" .

فقال "لوبين" :

- آه بالتاكيد .. إن الرقم ٢ معناه ...

ثم امسك فجاة عن الكلام وغرق هنيهة في التفكير ثم استانف يقول:

- اتاذن لي بان اوجه إليك سؤلا آخر .. ؟ الم يتقدم احد لحل هذا اللغز وفك معمياته .. ؟

فطوح الأستاذ "فالا ندبيه" بذراعيه ورفع عينيه إلى السماء وهتف يقول :

- سالتك الرحمة يا رب .. ! لقد جاء وقت لم يكن لي من عمل إلا ان أزود الناس بشتى البيانات عن هذا الكنز .. ولقد استدعى سلفي الاستاذ "تيربون" إلى (باسي) اكثر من عشرين مرة فيما بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٤٣ ، استدعاه الورثة الطامعون بعد ان اكد المشعوذون والدجالون وقارئو الطوالع انهم سيهتدون إلى مقر الكنز الخفي .. ! ولقد الح علينا الطامعون وشغلوا اوقاتنا فراينا ان نتوسل إلى التخلص منهم بفرض شرط يقضي بان يودع كل من يرغب في البحث والتنقيب مبلغا من المال .. !

- ما قيمته .. ؟

- الف فرنك ..

- اكان هذا الشرط كفيلا بإقصائهم وصد التيار .. ؟

- كلا .. فمنذ اربعة اعوام قام منوم مغناطيسي هنغاري بتجربة جديدة .. واضاع من وقتي الثمين يوما كاملا .. فرايت ان ارفع الضمان المالي إلى خمسة آلاف فرنك .. وفي حالة النجاح للمنقب الحق في الاستيلاء على ثلث الكنز . اما في حالة الإخفاق فيصادر التامين لمصلحة الورثة .. ومنذ تلك اللحظة لم يزعجني منقب جديد ..

- إليك إذن الخمسة الآلاف فرنك . !

فشهق المحامي دهشة وقال :

- هيه . ! ماذا تقول .. ؟

فقال "لوبين" وهو يخرج من محفظته خمس ورقات مالية من فئة الألف فرنك:

- اقول إليك الخمسة الآلاف فرنك قيمة التامين المطلوب ، فاعطني إيصالا من فضلك وتكرم بدعوة جميع ورثة "درنمونت" لمقابلتي في (باسي) في يوم ١٥ ابريل من العام القادم .

وانكر الاستاذ «فالانديه» ما سمعت اذناه وقال وهو ينقل بصره بين "لوبين" والاوراق المالية .

- اجاد انت في هذا . ؟

- كل الجد . !

- ولكني صارحتك برايي . ! ليس لهذه الروايات اي سند من الحقيقة . وليس هناك شبه دليل يدعمها . !

فقال "لوبين" في هدوء :

- لست اشاطرك هذا الراي يا سيدي . !

فرماه المسجل بنظرة من تلك النظرات التي اعتدنا ان نلقيها إلى المخبولين الذين فقدوا القدرة على الحكم على صحة الاشياء ونزولا على الامر حرر إيصالا باستلامه خمسة الاف فرنك من الكابتن (جينيوت) مع وعد صريح بان له الحق في الاستيلاء على ثلث ما تتكشف عنه الأبحاث .

وقال الأستاذ "فالا نديه" :

- إذا عدلت عن رايك فاخطرني قبل الموعد باسبوع على الاقل ، فإني لن اخطر ال "درنمونت" بالأمر إلا في تلك اللحظة الأخيرة حتى لا ابعث في نفوسهم املا كاذبا يكون لتهدمه رد فعل شديد في نفوسهم .

فابتسم "لوبين" وقال :

- لك ان تخطرهم في هذه الساعة بالذات يا استاذ "فلا نديه" ، فبذلك سيمضون عاما سعيداوالرجاء يملأ قلوبهم . !

وصافحنا المسجل وخرجنا ، فلما صرنا في الطريق اومات قائلا

- ماذا دهاك يا صاح . ؟ اوفقت إلى اثر يرشدك . ؟

- انا . ؟ كلا مطلقا .. وهذا ما يثير اهتمامي . !

- ولكنهم بحثوا ونقبوا مدى مائة عام . فما الذي ترجوه بعد ذلك..؟

- إنها مسالة دعامتها التفكير لا البحث والتنقيب . ! وامامي الآن ٣٦٥ يوما افكر فيها اكثر بكثير مما احتاج إليه .. غير اني اخشى ان تشغلني شؤون الدنيا فانسى هذه المسالة ، فارجو أن تذكرني بها إذا ما أزف الوقت . !

* * *

ولم افتا اذكر "لوبين" بالكنز مرة بعد مرة في خلال الاشهر التالية وهو لا يبدي شيئا من الاكتراث .. ثم حل زمن طويل لم اره في خلاله إذ اضطرته إحدى مغامراته إلى الرحيل إلى (ارمينيا) .

ولكني كنت في خلال ذلك على اتصال .. مستمر به بالرسائل فاستطعت ان اكاشفه بمعلومات جديدة جمعتها عن جارتي "لويز درنمونت" إذ علمت انها احبت منذ بضعة اعوام شابا غنيا ولكن اسرته حملته على نبذها والتخلي عنها فانزوت المراة المسكينة مع طفلتها ودعتها ظروف الحياة إلى العمل اكتسابا للرزق .

ولم يجب "لوبين" على رسائلي بكلمة واحدة . ولست ادري إذا كانت قد وصلته ام لا . وكان اليوم الموعود يدنو ويقترب . وانا اسائل نفسي في شيء من القلق عما إذا كانت مشاغله العديدة ستصرفه عن الاهتمام بالكنز وإغفاله الموعد الذي حدده بنفسه .

واخيراً حل يوم ١٥ ابريل . وجعلت اترقب قدوم "لوبين" ولكن دون جدوى وفرغت من طعام الغداء وهو لم يحضر بعد . فلما جاوزت الساعة الثانية عشرة غادرت مسكني قاصداً (باسي) .

وما كدت الج الحارة حتى رايت العامل واسرته وقوفا بالباب عند الجدار : فلما انبئوا الاستاذ "فالانديه" خف إلي مسرعا وهو يقول :

- هيه ..؟ واين الكابتن "جينيوت" . ؟

وكان هذا هو السؤال الذي اتوقعه .. واخشاه .. فقلت :

- الم يحضر بعد . ؟

- نعم لم يحضر .. والجميع في لهفة إلى مقابلته .

واجتمع القوم حول المحامي . ولم يغب عني أن امارات القنوط والوجوم التي طالعتني بها هذه الوجوه منذ عام قد اختفت وتبددت . إذ اشرقت ثناياهم وعمر الأمل قلوبهم .

وقال الأستاذ "فالانديه" :

– إن قلوبهم عامرة بالرجاء .. وانا المسؤول عن هذه الغلطة ولكن ما كان في وسعي ان افعل غير هذا .. ! لقد استطاع صديقك ان يؤثر في نفسي تاثيراً عميقا حملني على ان اتحدث إلى هؤلاء القوم فيما يشبه اليقين .. والحق ان صاحبك الكابتن "جينيوت" رجل غريب الأطوار . وفي حديثه ما يبعث الثقة في نفس اشد الناس استرابة وتشككا .

ثم اخذ يوجه إلي طائفة من الأسئلة عن الكابتن "جينيوت" وانا القي إليه عنها اجوبة خيالية زادته إعجابا بصديقي وتقديراً له .

وقال المسجل في صوت يدل على الإيمان :

– بالتاكيد .. كان مفروضا أن تنكشف الحقيقة يوما ما .

وكان الجندي يؤمن على هذا الكلام دون أن تخالجه ذرة من الشك ؛ إذ كيف يرتاب في اقوال ضابط رفيع الرتبة كالكابتن "جينيوت" . !

اما السيدة ذات الكلب فاهتمت بان تستفسر عن سن الكابتن وهل هو في شرخ الشباب .. !!

اما "لويز درنمونت" فقالت :

– ألا يحتمل ان يتخلف . ؟

فقال الشحاذ :

– لو تخلف لبقيت لنا الخمسة الآف فرانك فنقتسمها معا .

وهبطت كلمات "لويز" فوق الرؤوس كالماء البارد ففترت .. حماستهم وتبدد ابتهاجهم وعلاهم الوجوم من جديد . وثقل الهواء حتى لقد خيل إلي ان هناك وقرأ يجثم على صدره . وانا ارى بؤس هؤلاء المتلهفين المساكين الذين تعلق مصيرهم بصديقي "ارسين لوبين" .

ولما تجاوزت الساعة منتصف الثانية بعد الظهر كان القلق قد اشتد بالأختين فتهالكتا على أحد المقاعد منهكتي القوى . وفجاة اقترب

السيد البدين من المسجل وقال في لهجة عتاب مرة :

– إنك لا تستحق منا يا استاذ "فالانديه" إلا اللوم الشديد . كان ينبغي ان تاتي بالكابتن معك ولو قسرا عنه .. ! لقد هزأ بنا .. ! هذا امر جلي .!

ورماني بنظرة لاذعة . كما اخذ الخادم يقرض على اسنانه ويتمتم ببعض كلمات السباب بين شفتيه .

ولست انكر ان عتابهم نال مني واثر في نفسي إذ ازعجني غياب "لوبين" ولم اجد للأمر تعليلا إلا انه نسي مسالة الكنز .

وملت إلى المسجل وهمست في اذنه قائلا :

– اغلب ظني انه لن يحضر بعد ذلك . !

وجعلت اشحذ ذهني مفكرا في وسيلة تهيىء لي سببا للانسحاب قبل أن تتحرج الأمور ويبلغ الياس مناطه . ولكن قبل ان تحين فرصة للانصراف اقبل احد ابناء العامل من الخارج مسرعا وهو يصيح :

– إني ارى شخصا قادما .. ! على موتوسيكل . ورأينا رجلا يجتاز الحارة على متن موتوسيكله بسرعة خارقة تستهدف معها حياته للخطر وفجاة اوقف موتوسيكله امام الباب ووثب إلى الأرض .

وكان الرجل مرتديا سترة كحلية انيقة . ولكن طبقات الغبار علتها فافسدتها .

وهتف الأستاذ "فالانديه" قائلا :

– ولكن ليس هذا هو الكابتن "جينيوت" .. !

فقد اخطاه التوفيق في معرفته .

وهتف الرجل وهو يصافحني :

– بل هو الكابتن بعينه .. ! وكل ما هنالك اني حلقت شاربي .. ! ومع ذلك فهذا إيصالك المكتوب بخطك يا استاذ "فالانديه"

واخذ "لوبين" بذراع احد ابناء العامل وهتف به :

– أسرع يا غلام إلى شارع (رانوارد) واستدع لي تاكسيا .. وإياك والإبطاء فإني مرتبط بموعد مهم في الساعة الثانية او الثانية والربع

على الأكثر .. !

وسرت بين الحاضرين همهمة تنطوي على الاحتجاج .

واخرج "لوبين" ساعته ونظر فيها وقال :

- حسنا .. ! إننا الآن في الساعة الثانية إلا عشر دقائق .. ! امامي إذن ربع ساعة .. ! وبالله .. ما اشد تعبي .. ! وما اشد جوعي .. !

وبادر الجندي بتقديم قطعة من السندوتش إلى "لوبين" فراح يقضمها وقد استوى جالسا ومضى يقول :

- إني أسالكم الصفح أيها السادة . لقد كنت في (مارسيليا) وعدت منها بالقطار السريع .. ولكن شاء سوء الحظ ان يخرج القطار من القضبان فيما بين (ديمون) و (لاروش) فقتل عشرة اشخاص وجرح كثيرون فاضطررت إلى ان اشترك في إسعافهم . وقد عثرت على هذا الموتوسيكل في عربة البضاعة فسرقته ليتسنى لي الحضور في الوقت المناسب .. فارجو يا استاذ "فالانديه" ان تتفضل بإعادته إلى صاحبه.. واسمه مدون في البطاقة المثبتة إلى عجلة القيادة .. هيه .. اعدت يا بني .. ؟

هل التاكسي واقف بالباب . ؟ عند رأس الحانة . ؟ حسن .

ونظر في ساعته مرة أخرى ثم قال :

- أزف الوقت .. ! ليست لدي دقيقة واحدة اضيعها .. !

وأرسلت إليه بصري في فضول شديد .. وللقارئ ان يتصور مبلغ الانفعال الذي كان مستوليا على آل "درنمونت" في هذه اللحظة .. ولو انهم كانوا يعرفون ان هذا الرجل الماثل امامهم هو "ارسين لوبين" لاطمان بالهم ولسري عنهم وله في حل الالغاز شهرة مدوية ...

وتحول الكابتن "جينيوت" إلى اليسار ومشى صوب المزولة الشمسية، وكانت قاعدة المزولة تمثل رجلا قوي البنية مفتول العضلات يحمل فوق كتفيه لوحة رخامية اثر فيها تعاقب الأعوام حتى بدت خطوط الساعات جلية فيها . وكان فوق اللوحة تمثال لكيوبيد يحمل في يده سهما يستخدم أيضا بمثابة عقرب للمزولة .

مال "لوبين" فوق المزولة هنيهة وقد استغرقته الخواطر .

رفع راسه وتحول إلينا قائلا :

فليعرني احدكم مبراته .

ودقت ساعة الكنيسة دقتين .

وفي هذه اللحظة كان ظل السهم ساقطا على المزولة . تماما فوق شق في اللوحة يقسمها نصفين متساويين تقريبا .

وتناول الكابتن المبراة التي قدمت إليه . وفي رفق شرع يزيل الغبار الذي تراكم في الشق الضيق فسدّه .

وفجاة .. على قيد بوصات قليلة من الحافة .. امسك عن العمل كانما اصطدم نصل المبراة بعقبة حالت دون جريانها في الشق . ثم دس اصبعه في الشق واخرج شيئا مسه بيده وقدمه إلى الأستاذ "فالانديه" وهو يقول :

- هذه يا أستاذ بداية يمكن ان نستهل بها ابحاثنا . !

وما كان هذا الشيء إلا ماسة كبيرة مصقولة في حجم البندقة وتابع "لوبين" عمله .

وبعد لحظات امسك مرة أخرى . وظهرت ماسة ثانية ليست دون الأولى روعة وجمالا . !

وجاءت ماسة ثالثة .. ثم رابعة .. !

وفي خلال دقيقة واحدة . ودون ان يغوص "لوبين" بنصل مبراته . إلى اكثر من نصف بوصة . استطاع ان ينتزع من الشق عشرين ماسة متماثلة الأحجام!

وفي اثناء ذلك لم تبرح من الورثة صيحة دهش واحدة .. كانوا وقوفا حول المزولة يرقبون .. يتطلعون بعيون مذهولة وقد عقدت الدهشة السنتهم .. !

واخيرا هتف السيد البدين :

- أيتها العذراء .. !

وصاح الجندي :

– سيدي الكابتن .. ! سيدي الكابتن .. !

ترنحت الاختان وسقطتا مغشيا عليهما .. على حين جثت صاحبة الكلب واخذت تصلي .. اما الخادم فكاد يخر فاقدا رشده ، لولا ان استند بمرفقه إلى المزولة وهو يتمايل .. ونظرت إلى "لويز درنمونت" فوجدتها قد انشات تبكي .

وحين قرت الضجة وسكنت الاعصاب . وتلفت القوم حولهم ليقدموا آيات الشكر إلى الكابتن "جينيوت" الفوه قد انصرف واختفى !

* * *

بعد أيام التقيت بـ "ارسين لوبين" فانشا يحدثني عن الكنز إجابة لسؤالي :

– حكاية الماسات العشرين .. ؟ آه .. ! لعمري إني ليزدهيني الفخار حين اذكر ان ثلاثة او اربعة اجيال من الناس قد قدحوا اذهانهم سعيا وراء الكنز فاخفقوا .. ! مع ان الماسات كانت مخباة على قيد خطوة منهم ... لا تعلوها إلا بوصة واحدة من الغبار المتراكم .. ؟

– ولكن كيف خمنت الحقيقة . ؟

– لم اخمن . وإنما فكرت .. ! بل إني لأرتاب في انني فكرت .. ! لقد كان الامر من السهولة بحيث لم يكن هناك ما يدعوني إلى التفكير وشحذ الذهن لقد استرعى بصري منذ البداية ان هناك عاملا واحدا يسيطر على الموقف كله .. وهذا العامل هو الزمن .. قبل ان يختبل عقل "شارل درنمونت" كتب تاريخا في ذيل الصورة .. ولما اصابته اللوثة اعتاد ان يهبط إلى الحديقة مرة في كل عام مدفوعا بما بقي في ذهنه من بارقة التعقل .. وفي كل عام لم يكن يغادر الحديقة إلا في الساعة الخامسة والدقيقة السابعة والعشرين . فلا شك إذن أن في مخه ذكرى قديمة تتغلب على جنونه وتحفزه إلى هذا التصرف .. فما هي إذن هذه الذكرى المتغلبة .. ؟ لم تكن هناك ادنى ريبة في ان الزمن إذن هو العامل المتحكم .. العامل المتسلط على ذلك الذهن المخبول .. وكان الزمن متمثلا في المزولة الشمسية الموجودة في الصورة التي رسمها ابوه

فدورة الارض السنوية حول الشمس هي التي كانت تحمل "شارل درنمونت" على الخروج إلى الحديقة في يوم معين .. ودورة الارض اليومية حول محورها هي التي كانت تحمله على مغادرة الحديقة في ساعة معينة .. او بعبارة اخرى تلك الساعة التي تحجب فيها اشعة الشمس عن حديقة (باسي) .. وفي كل هذا كانت الشمس هي الرمز القائم ، ولهذا سهل علي ان اعرف النقطة التي ابدا فيها بحثي ..

فقلت متسائلا :

– ولكن كيف حددت الساعة التي تبدأ فيها البحث . ؟

– من الصور .. إن رجلا يعيش في عهد الثورة ينبغي ان يستعمل في كتابة التواريخ احد تقويمين : التقويم العادي .. والتقويم الثوري. فإما ان يقول ١٥ ابريل سنة ١٧٩٤ وإما ان يقول ٢٦ جرمينال سنة ٢ طبقا للتقويم الذي وضعه الثوار . ولكنه خلط بين التقويمين فقال ١٥ ابريل سنة ٢ ولم تكن هناك اية شبهة في أن هذا الخلط كان متعمدا مقصودا . ويدهشني ان هذا الخاطر لم يطف بذهن احد قبلي .

– إذن فالرقم ٢ معناه الساعة الثانية لا السنة الثانية . ؟

– بالتاكيد .. وإليك ما اعتقد انه حدث : باع الجنرال "درنمونت" كل املاكه . ثم راى بدافع من الحرص والحذر ان يبتاع بالمال عشرين ماسة . فحين طرق الجنود بابه أسرع إلى الحديقة ليخفي ماساته .. ولكن اين يجد المخبا الامين.؟ اتفق في هذه اللحظة أن حانت منه لفتة إلى المزولة الشمسية .. وكانت الساعة الثانية بعد الظهر .. وكان ظل السهم ساقطا فوق الشق الذي يشطر اللوحة نصفين فاستجاب إلى علامة الظل ودفن ماساته في الشق في طيات الغبار المتراكم المتلبد . !

فقلت معترضا :

– ولكن ظل السهم يسقط على طول الشق عند ظهر كل يوم لا في يوم ١٥ ابريل فقط .

– انسيت يا صديقي ان الذي كتب هذا التاريخ هو الابن "شارل" ، وان "شارل" ملتوي الذهن وقد اختبل فيما بعد .. فهو لا يذكر إلا شيئا

واحدا .. اليوم الذي وقع فيه الاعتقال .

قلت :

– ولكن ما دمت قد ازحت الستار عن اللغز بهذه السهولة ، فلم لم تتسلل إلى الحديقة وتستولي على الماسات لنفسك . !

فابتسم "لوبين" ابتسامة حزينة وقال :

– ما كنت لأحجم عن هذا لو أن الورثة من طراز آخر .. ولكنهم قوم بؤساء تعساء وقد أحزنني امرهم وادركتني الشفقة عليهم فلم يطاوعني قلبي على أن اسلبهم كنزهم .. إنك تعرفني يا صديقي .. وتعرف حماقتي . ! إن "لوبين" مولع بان يكون عند الفقراء رسول سعادة وهناء ة .. كم من مرة سرقت لأعطي المساكين .. ذلك شاني ورأيي دائما . . ! في هذه الدنيا اغنياء يقتنون ماسات لا تقدر بثمن ، أو صورا وتحفا نادرة .. هذه الماسات وهذه التحف تحلت بها الصدور والجدران . ولكن اية فائدة لها .. اليس اولى باصحابها ان يبيعوها ويقدموا ثمنها للفقراء المعوزين . ! ؟ هذه الصورة المعلقة على الجدران .. وهذه الماسة المتدلية من اذن الحسناء .. تسعد اسرة فقيرة عاما كاملا .. ولكن الاغنياء لا يفكرون في هذا ، ولذلك يتولى "لوبين" التفكير عنهم . ! إنني اسرق "الصور .. والتحف .. والماسات لأنفق ثمنها على الفقراء . ! فكيف تريدني بعد هذا أن اسرق الماسات من المزولة واحرم الورثة المساكين منها .

فقلت :

– وحصتك من الكنز . ؟ كان لك ان تستولي على الثلث . ؟

– ولا هذا ايضا . !

– ولا هذا . ؟

– نعم .. لقد نزلت حتى عن حصتي لأصحاب الكنز . لم تكن قيمة نصيبي لتقل عن مليون فرنك ، ولكني نزلت عنه عن طيب خاطر

قلت :

– إذن فقد كانت خسارتك مليون فرنك . ؟

فضحك وقال :

– كلا .. بل مليون فرنك مضافا إليها المائتا فرنك التي اقرضتها لمدام "امبرت" اللعينة . ! وصدقني إن ضياع المائتي فرنك كان على نفسي اشد وقعا من ضياع هذا المليون . !

الفصل الثالث

في الساعة الرابعة من مساء أحد الأيام وقد بدا النهار ينصرم رجع المزارع "جوسوت" وابناؤه الاربعة إلى دارهم بعد ان امضوا نهارهم في الصيد والقنص . وكان الرجال الخمسة طوال القامة عريضي المناكب مفتولي السواعد لوحت الشمس بشرتهم وركب الله لكل منهم فوق عنقه الغليظ راساً صغير الحجم ذا جبين ضيق منبعج وشفتين رقيقتين وانف معقوف وسحنة قاسية تنم عن الشدة والبطش وكان جميع أهل القرية يهابونهم وينفرون منهم . وكانوا معروفين بالجشع.

وحين بلغوا الجدار المرتفع الذي يقوم حول أملاك (هيبر فيل) فتح الأب الباب بمفتاح ضخم رده إلى جيبه بعد أن دخل أولاده وقد تبعهم على الإثر مجتازين الطريق الذي يتخلل الأشجار .

وقال أحد الأبناء الأربعة :

- أرجو أن تكون أمي قد أشعلت المدفأة .

فقال الأب :

- إني أرى دخانا منبعثا من المدخنة .

وبدت معالم البيت على البعد في نهاية الحديقة . وقد تراءت أبراج الكنيسة سامقة شاهقة تناطح السحب .

وقال "جوسوت" :

- البنادق كلها فارغة !! أليس كذلك . ؟

فقال الابن الأكبر :

- عدا بندقيتي فقد حشوتها برصاصة لأجرب مهارتي .

وكان الأكبر أشدهم زهواً وغروراً ببراعته في إصابة الهدف .

وتحول إلى إخوته قائلا :

- انظروا إلى هذا الغصن . عند رأس شجرة الفراولة سأجعله نصفين ..

وكان على الغصن فزاعة الطيور . وهي تمثال مصنوع من الأقمشة على صورة الإنسان يثبت فوق الأشجار حتى إذا رأته الطيور حسبته

إنسانا ففرت فزعة .

رفع الابن الأكبر بندقيته وسددها إلى الغصن وأطلق النار .

وترنح التمثال وهو على شكل مضحك . ثم علق بأحد الأغصان السفلى فظل منبطحا عليه فوق بطنه . وعلى رأسه قبعته المعهودة المصنوعة من الخرق البالية. أما ساقاه المحشوتان بالقش فكانتا تهتزان وتتارجحان يمينا ويساراً .

وأضحكهم هذا المنظر . وقال الأب مقرظا :

- رصاصة صائبة يا بني .. ! وفضلا عن هذا فقد بدا تمثال الفزاعة يضايقني ويثقل على صدري . وما جلست يوما أتناول طعامي في الشرفة إلا استقر بصري على التمثال وخيل إلي أنه يرمقني بنظرات شرهة .. ! شكراً على أنك أرحتني منه .. !

وساروا بضع خطوات .

وحين صاروا من الدار على قيد ثلاثين خطوة وقف الأب فجأة في مكانه وهتف يقول :

- ما هذا ؟

وكذلك جمد الأبناء الأربعة في أماكنهم وأرهفوا آذانهم للسمع وقال أحدهم في صوت خافت :

- إن الصوت صادر من البيت .. ! من غرفة الغسيل .. !

وتمتم ثان يقول :

- كأني به صوت تأوهات .. ! وأمي وحدها في البيت .. !

وفجأة .. دوت صرخة حادة .

وانطلق الرجال الخمسة صوب الدار .

ثم صرخة أخرى .. أعقبتها صيحات يأس وقنوط .

وهتف الابن الأكبر الذي كان يتقدم الجمع :

- إننا هنا .. ! إننا آتون .. !

ولما كان الطريق ملتويا فقد وثب الابن الأكبر إلى أقرب نافذة إليه وهشم زجاجها بقبضة يده وقفز إلى الداخل .

وكانت الغرفة التي ولجها هي المخدع الذي ينام فيه أبوه . أما الغرفة المجاورة فكانت غرفة الغسيل حيث اعتادت الأم "جوسوت" أن

تمضي سحابة نهارها .
وحين راها طريحة على الأرض غارقة في دمها صرخ يقول :
– يا إلهي .. ! ابت .. ! ابت .. !
وصاح الأب "جوسوت" :
– ماذا جرى .. ؟ اين هي .. ؟
وحين استقر بصره عليها صرخ يقول :
– يا إلهي .. ! ما معنى هذا .. ؟ ماذا فعلوا بك يا اماه .. ؟
واستجمعت المراة قواها .. بسطت ذراعها مشيرة وتمتمت في صوت ضعيف :
– الحقوا به .. ! من هذه الناحية .. ! هذه الناحية .. ! إني بخير ..! خدش او خدشان . ! الحقوا به . ! لقد سرق مالنا .. !
وصرخ الأب وابناؤه :
– سرق المال .. !
وانطلقوا صوب الباب الذي اشارت إليه الأم وهم يرددون :
– سرق المال .. ! تبا له . ؟ هيا وراء اللص .. !
وارتفع من اقصى الدهليز الذي ساروا فيه صوت احدهم يقول :
– رايته .. ! رايته .. !
وصاح آخر :
– وانا ايضا .. ! لقد ارتقى السلم . !
– كلا ها هو ذا ينزل ثانية .. !
وكانت مطاردة حامية جنونية .. مطاردة اهتزت لها كل غرفة في البيت حتى كادت تتصدع منها الجدران .
وحين بلغ الأب "جوسوت" نهاية الدهليز لمح رجلا واقفا عند الباب الأمامي وهو يحاول فتحه .
لو انه افلح في فتح هذا الباب لاستحال اللحاق به إذ ليس ايسر من التستر بالأشجار واجتياز الحديقة ثم التغلغل في ازقة القرية وطرقها.
واسرع الأب "جوسوت" وانقض على الرجل وهو يعالج الباب ولكن هذا تلقاه بضربة القته على الأرض صريعا . ثم رجع على عقبيه يجتاز

الدهليز ثانية والابناء الاربعة في إثره حتى إذا انتهى إلى المخدع تخطى سياج النافذة المهشمة وقفز إلى الحديقة واختفى .
وانطلق الرجال في إثره يجوسون خلال الحديقة ويبحثون عنه بين شجيراتها الملتفة . وقد بدأ الظلام يرخي سدوله .
صاح الأب "جوسوت" وهو يضحك :
– وقع الشرير في الفخ .. ! لا مهرب له .. ! إن السياج مرتفع لا سبيل إلى تخطيه .. ! سنظفر به حتما .. !
وكان بعض المزارعين الذين يعاونونه في العمل قد رجعوا من القرية في هذه اللحظة فانباهم بما وقع واعطى كلا منهم بندقية وقال :
– إذا تراءى لكم شبحه فلا تترددوا في إطلاق النار عليه .. ! إياكم ان تاخذكم به رحمة او شفقة .. !
ثم حدد لهم المواقع التي يقفون فيها واسرع إلى بوابة المزرعة التي لا تستعمل إلا لمرور المركبات . فلما ايقن من انها مغلقة ذكر إذ ذاك – وإذ ذاك فقط – ان زوجته جريحة وانها قد تكون في حاجة إلى شيء من الإسعافات فرجع إليها واقبل عليها يسالها :
– كيف حالك يا الآن .. !
– اين اللص .. ؟ اظفرتم به .. ؟
القت إليه هذا السؤال في انفاس متقطعة مبهورة .
– إننا نجد في إثره .. ولن يفلت منا .. ! واغلب ظني ان الاولاد قد اقتنصوه الآن .!
وكان في هذا النبا ما ابهج قلبها ورد إليها قواها الضائعة ، وصب زوجها في حلقها رشفة من الشراب فانتعشت واستطاعت ان تنتقل إلى فراشها مستندة إلى ذراع "جوسوت" .
ثم شرعت تروي قصتها . وكانت قصة وجيزة مختصرة : فرغت من إشعال المدفاة في قاعة الجلوس . وجلست عند نافذة مخدعها تطرز قطعة من القماش مترقبة عودة زوجها وابنائها حين خيل إليها انها سمعت صوتا صادرا من غرفة الغسيل .
وقالت في نفسها : – لا شك اني سهوت عن إخراج القطة فحبستها هناك .

ومضت إلى الغرفة دون أن تخالجها ذرة من الريبة : على انها ما كادت تتخطى العتبة حتى ادهشها ان ترى باب الدولاب الذي تودع فيه المال المدخر مفتوحا على مصراعيه . فسارت إليه وهي لا تتوقع شرا فإذا بها ترى رجلا واقفاً عند الدولاب .

فقال الأب "جوسوت" :

– ولكن كيف استطاع الدخول ؟

– من الدهليز فيما اعتقد . فإننا لم نعتد إغلاق الباب الخلفي .

– وهل هجم عليك .. ؟

– لا بل انا التي هجمت عليه .. ! فحاول ان يفر هاربا .

– كان ينبغي ان تدعيه ولا تحاولي اللحاق به .. !

– والمال الذي سرقه .. ؟ ادعه يهرب بما ادخرنا ... ؟

– اكان إذن قد سرقه في هذه اللحظة ... ؟

– بالتاكيد .. لقد رايت رزمة الأوراق المالية في يده الا سحقا له .. ! لو استطعت لقتلته في هذه اللحظة .

– الم يكن مسلحا .. ؟

– لم يكن سلاحه خيراً من سلاحي ! كان كل منا مدججا باصابعه واظفاره واسنانه .. ! انظر ... لقد عضني هنا . ! وقد اضطررت إلى ان اصرخ . ! لا تلمني فإني لست إلا امراة طاعنة في السن ... وقد اكرهني اللعين على ان اتخلى عنه واطلقه .

– اتعرفينه .. ؟

– إني موقنة انه "ترينارد" العجوز ..

– الويل له .. ! نعم . لابد انه "ترينارد" اللعين .. ! ولقد خيل إلي انا ايضا اني عرفته .. ! ولقد لمحته في الأيام الثلاثة الماضية يحوم حول البيت .. لاريب ان الشقي استشعر ان لدينا مالا مدخرا . ! تبا لك يا "ترينارد" . ! سوف ترى اني ساعرف كيف انتقم .. !

– هل في وسعك الآن ان تزايلي فراشك .. ؟ حسنا .. اذهبي إذن واخطري الجيران بما وقع . واطلبي إليهم ان يبادروا باستدعاء البوليس ليت شعري كيف استطاع "ترينارد" العجوز ان يجري .. نعم.. نعم .. عهدي به كالأرنب قوي السيقان ..

ولم يكن في نية "جوسوت" ان يتهاون لحظة واحدة في إنزال العقوبة الصارمة بـ"ترينارد" الشيخ ... في نيته إذا ما اقتنصه ان ينهال عليه ضربا بالسوط ثم يسلمه إلى رجال البوليس .

وتناول المزارع بندقية ولحق برجاله الذين ارصدهم للمراقبة وقال :

– ألم يجد شيء .. ؟

– نعم لم يجد شيء .

– لن يطول انتظارنا إذن ...

وما بين لحظة واخرى كانوا يسمعون صوت الأخوة الأربعة ينادي بعضهم بعضا، وهم يجوسون خلال الحديقة ، ويضربون بمقابض بنادقهم فيما بين الشجيرات . ولكن التوفيق اخطاهم فلم يهتدوا إلى مخبا اللص .

أخيراً رجع احد الابناء وفي وجهه امارات الخيبة ولم يحاول ان يكتم رايه فقال :

– الظلام حالك يا ابتاه . فلا فائدة ترجى من مواصلة البحث الليلة ولا شك ان اللعين قد اختفى في إحدى الحفرات .. فاولى بنا ان نرجىء المطاردة حتى الصباح .

فصاح الأب :

– الصباح . ! ماذا دهاك يا بني ؟ افقدت الجلد والشجاعة . ؟

وجاء الابن الأكبر إذ ذاك مبهور الانفاس ، يتصبب جبينه عرقا ، وشاطر اخاه رايه .. واي ضر يمكن ان ينكشف عنه الانتظار واللص حبيس بين جدران المزرعة العالية كانه نزيل سجن لا سبيل له إلى الفكاك منه . ؟

فصاح الفلاح الشيخ :

– إذن ساتولى البحث بنفسي . ! اشعلوا لي مصباحا . !

وفي هذه اللحظة وصل ثلاثة من رجال الشرطة يصحبهم نفر من اهل القرية جاءوا يستطلعون اخر الأنباء .

وكان السرجنت الذي يتولى رياسة الشرطة ولوعاً بالنظام فاصر على ان يسمع القصة اولا بحذافيرها قبل ان يشرع في البحث ، فلما فرغ الأب "جوسوت" من روايته غرق السرجنت في التفكير .. ثم راح

يطرح شتى الأسئلة على الإخوة الأربعة كل على انفراد .. وكان إذا ما فرغ من استجواب أحدهم أطال التفكير .

وأخيراً حين عرف ان اللص فر هاربا صوب الجهة الخلفية من المزرعة وان اثره قد اختفى بالقرب من مكان معروف باسم «بيت الغربان» فكر طويلا ثم ادلى برايه قائلا :

- اولى بنا ان ننتظر .. إن المطاردة في هذا الظلام الحالك ستهيىء لـ"ترينارد" العجوز سبيلا إلى الإفلات من بين ايدينا دون ان نشعر به.. والآن اسعدتم مساء . !

وهز الأب "جوسوت" كتفيه حنقا ولعن في سره . ولكنه كان لابد من بسط رقابة شديدة على المزرعة حتى لا يحاول اللص الفرار اثناء الليل. فتولى السرجنت بمساعدة الأب "جوسوت" توزيع اهل الدار وبعض المزارعين والقرويين في شتى الأنحاء . فارصدوا هذا هنا وذاك هناك .

ولما اطمان السرجنت إلى كمال خطته الحربية اوى إلى الدار وامضى الليل يحتسي كؤوس الشراب التي قدمها إليه "جوسوت" .

وانقضى الليل في سلام .

وكلما انقضت ساعتان غادر السرجنت الدار وطاف بمراكز المراقبة ليطمئن إلى ان الرجال ساهرون متيقظون . ولم يقع اي حادث يثير الشبهات . إذن فلايزال "ترينارد" العجوز منزويا في الحفرة التي اوى إليها. وبدات المعركة عند الفجر . واستمرت اربع ساعات .

وفي خلال هذه الساعات الأربع لم يدع المطاردون شبرا من الثلاثة عشر فدانا المسورة بالجدران العالية إلا نقبوا فيه ... ولم يتركوا ركنا من الأرض إلا قلبوه راسا على عقب .. كل حفرة فتشوها .. وكل زاوية بحثوا فيها .. وجعلوا يجوسون خلال الشجيرات المتكاثفة بعصيهم .. ويطئون الأعشاب الطويلة النامية باقدامهم .. ويزحزحون اغصان الأشجار وينظرون فيما بينها ..

ومع ذلك لم يقعوا على اثر لـ"ترينارد" العجوز . !

وقال "جوسوت" مزمجراً :

- إن الأمر محير مربك .. !

وقال السرجنت مؤمنا :

- الحق انه يدهشني انا ايضا .. !

ولم تتفق الأذهان عن اي تعليل لهذا الاختفاء العجيب . !

لم يكن في المزرعة إلا عدد قليل من الشجيرات وقد بحثوا في خلالها بحثا دقيقا .. اما الأشجار فكانت كلها عارية من الأوراق فلم يكن ثمة سبيل إلى الاختفاء فيها . لم يكن هناك بناء او كوخ او كهف .

وقصارى القول إنه لم يكن في المزرعة مخبأ يختفي فيه "ترينارد" العجوز . والمخابئ الموجودة فتشت كلها ونقب فيها .

وقال احد الحاضرين :

- يحتمل ان يكون قد تخطى الجدار . ؟

واتجه البحث إلى هذه الناحية .. ولكن الراي ما لبث ان اجتمع على ان تسلق الجدار مستحيل .

وبعد الظهر تولى قاضي التحقيق ووكيل النيابة التحقيق . ولكنه لم يسفر عن شيء جديد . بل لقد تسرب الشك إلى نفوس المحققين ووقع في روعهم ان الحادث اكذوبة ملفقة لا ظل لها من الحقيقة وان الاعتداء المزعوم على الأم "جوسوت" لم يقع مطلقا .. !

وقال القاضي يسال "جوسوت" :

- اموقن انت يا "جوسوت" من ان البصر لم يخدعك وابناءك فرايتم شيئا لا وجود له . ؟

فقال المزارع وقد استولى عليه الغضب :

- وما يكون من شان زوجتي .. ؟ اكانت مخدوعة هي أيضا حين انقض عليها الشرير واطبق باصابعه على عنقها . ؟ إذا خالجتك الريبة في قولي فافحص عنقها وانظر إلى ما هو مطبوع عليها من آثار الاصابع . !

فقال القاضي :

- حسنا .. حسنا .. ولكن اين اللص إذن . ؟

- هنا . حبيس بين الجدران .. !

- إذن عليك ان تجده . ! ما دمت موقنا من وجوده فائتنا به . ! اما نحن فقد ادركنا الياس وقطعنا الرجاء .. ! وجلي انه لو كان اللص مختبئاً بين جدران هذه المزرعة لكنا الآن قد وفقنا حتما إلى الاهتداء

إليه .

فصاح "جوسوت" في انفعال :

- اقسم اني ساظفر به مهما يقتضيني الامر .. الن يقال في يوم من الايام إن لصا سلب "جوسوت" ستة الاف فرنك .. !

نعم ستة الاف فرنك ..! لقد بعت ثلاث بقرات .. ثم هناك ثمن محصول القمح . وثمن ثمار التفاح .. سته الاف فرنك اوراقا مالية كنت اوشك ان امضي بها إلى البنك .. ! اقسم اني ساظفر به . واني اعتبر المال كانه موجود الان في جيبي .. !

فقال قاضي التحقيق :

- حسنا .. أتمنى لك التوفيق .

ثم انصرف وفي رفقته وكيل النيابة يتبعهما رجال الشرطة ، وكذلك اخذ الجيران ينصرفون تباعا . وما ان انقضت ساعات بعد الظهر حتى كان الجمع كله قد انفض ولم يبق إلا "جوسوت" واثنان من عمال المزرعة ومضى "جوسوت" بشرح الخطة التي اعتزم تنفيذها : عليهم ان يواصلوا البحث طيلة النهار دون كلل او ملل . فإذا ما هبط الليل راقبوا المكان مراقبة دقيقة .. وسيستمرون على ذلك مهما يطل الامر .. إن "تريناردِ" العجوز ليس إلا بشرا .. فلا مفر له من ان ياكل ويشرب .. إنه لن يموت جوعا .. وستقسره هذه الحاجات على ان يتسلل من مخبئه لياكل ويشرب .. وسيكونون له بالمرصاد فإذا ما زايل مكانه انقضوا عليه واخذوا بتلابيبه .

قال "جوسوت" :

- يحتمل أن تكون في جرابه بعض قطع من الخبز يتبلغ بها . وقد يسطو على ثمرة او ثمرتين في اثناء الليل . اما الماء فلا سبيل له إليه..

ليس في الحديقة إلا عين واحدة . وانه ليكون شيطانا من الجن إذا استطاع ان يصل إلى العين .. !!

وفي تلك الليلة تولى "جوسوت" حراسة العين .

وبعد ثلاث ساعات حل الابن الاكبر مكانه . وقد امضى عمال المزرعة ليلتهم في الدار وهم يتبادلون نوبة الحراسة وقد اشعلوا المصابيح

والقناديل كلها حتى لا يؤخذوا على غرة .

ودابوا على هذه الرقابة اربع عشرة ليلة متوالية .. !

في اثناء الليل يراقبون ويسهدون .. واثناء النهار يفتشون وينقبون !

وفي الليلة الاخيرة كانت الامور كشانها في الليلة الاولى . لا يزال اللص مختفيا ومعه ستة الآلاف فرنك ..!

ولم يكف "جوسوت" الاب لحظة واحدة عن الشتم والسب .. إنه موقن من ان "تريناردِ" مختف في المزرعة ولكن في اي ركن منها .. ؟

واستدعى "جوسوت" شرطيا سريا ممن اعتزلوا الخدمة وعهد إليه بمعاونته في البحث . واقام المفتش السري اسبوعا كاملا في المزرعة .. ومع ذلك فلم يهتد إلى "تريناردِ" العجوز . بل لم يوفق إلى اي اثر يمكن ان يحيي الآمال في الصدور .

وقال "جوسوت" الاب :

- إنه لغز محير .. ! لغز محير جداً .. ! إني موقن من انه موجود ..! نعم .. إنه هنا .. حبيس بين جدران هذه المزرعة .. !

ووقف "جوسوت" على عتبة الدار وزعق بملء صوته موجها حديثه إلى اللص الخفي :

- الا تعلم ايها الاحمق انه لا سبيل إلى الفرار وانك .. ستموت اختناقا في حفرتك ! اتحسبني ارضى بان افرط في ستة الآلاف فرنك..! اختف إذن أيها الغبي الأحمق فإني لك بالمرصاد ولن تغفل لي عين..!

ورددت الام "جوسوت" شتائم زوجها وصرخت بصوتها الحاد النبرات :

- إنك خائف من ان نزج بك في السجن .. ! حسنا .. اعد إلينا الأوراق المالية نطلق سراحك على الفور ولا نسلمك إلى البوليس .. !

ولكن "تريناردِ" العجوز لبث لائذا بالصمت لا ينطق بكلمة ولا يكشف لهما مخباه على الرغم من مواصلتهما النداء عليه حتى بح منهما الصوت .

وتتابعت الأيام .

وبلغ من قلق "جوسوت" وما ارهق به نفسه اثناء البحث انه اصيب بالحمى . اما ابناؤه فساءت اخلاقهم ونزعوا إلى الشراسة والمشاكسة .

وكانوا لا يتخلون لحظة واحدة عن بنادقهم وفي عزمهم ان يطلقوا النار ولم يكن للقرية من حديث غير حديث هذه السرقة .

ورددت الألسن القصة حتى انتهت إلى صحف المدينة فتناقلتها . واوفدت بعض الصحف رجالها للتحري .. بل لقد أوفدت بعض صحف باريس مندوبيها .. غير ان "جوسوت" لقي رجال الصحافة غاضبا واوصد بابه في وجوههم حانقا وهو يقول :

– كل إنسان ملك في داره .. فلا تتعرضوا لشؤوني .. ! هذا امر يعنيني وحدي فلا تتدخلوا .. !

– ولكن الا ترى يا "جوسوت" ..

– لست ارى شيئا .. اغربوا عن وجهي .. !

وصفق الباب في وجوههم .

وإلى هذه اللحظة كان قد مضى اسبوعان و"ترينارد" العجوز حبيس بين جدران المزرعة .. ولم يتهاون "جوسوت" في البحث لحظة واحدة .. كان يوالي التنقيب بنفس الهمة التي بدا بها في اليوم الاول . وإن كان رجاؤه قد اخذ يضعف تدريجيا كانما استشعر ان في الامر سرا خارقا للطبيعة لا سبيل لقدرة بشرية إلى التغلب عليه واستكناه معمياته .

وبدأ الياس يتسرب إلى نفوسهم . ووقع في روعهم انهم لن يروا للمال المسروق ظلا .

* * *

في ذات صباح .. في نحو الساعة العاشرة .. كانت هناك سيارة تجتاز ساحة القرية بسرعة خارقة .

وفجاة هدات السيارة من سرعتها ووقفت دفعة واحدة وقد اصيبت بخلل .

وفحصها قائدها فحصا دقيقا وقرر أن إصلاح العطب سيستغرق وقتا فلم ير صاحبها مندوحة إزاء هذا من المضي إلى فندق القرية ليتناول الغداء . ويصيب شيئا من الراحة ريثما يتم إعداد سيارته

وصاحب السيارة في العقد الرابع من العمر ، باش الوجه رقيق الحديث ، حلوه . وما أن امضى في الفندق فترة وجيزة حتى لقي من اصحابه كل عناية لما طبع عليه من البشاشة ورقة الجانب .

وطبيعي أن يرووا له قصة "جوسوت" واللص الخفي .

ولم تكن قد بلغته من قبل ، إذ كان مسافراً في الخارج ، ولم يعد إلا منذ ايام قليلة ، ولكن الحادث استرعى اهتمامه ، وطاب له أن يسمع التفاصيل . وكان في خلال ذلك لا يفتا يستفسر عن بعض النقاط الغامضة المبهمة ، واشترك في الحديث جميع الجالسين إلى الموائد الأخرى وكل يدلي بنظريته وبالتفسير الذي يراه مبدأ الظلمات ..

واخيراً قال السيد صاحب السيارة :

– كلام فارغ .. لست اعتقد أن للحادث كل هذا الغموض ، ولقد مرت بي من قبل تجارب من هذا النوع ، ولو اني كنت موجودا في المزرعة لاستطعت ان ..

فقال صاحب الفندق مقاطعا :

– ليس أيسر من أن ندبر لك الأمر ، إن المزارع "جوسوت" صديق لي ، وما احسبه سيخيب رجائي .

وخف صاحب الفندق إلى "جوسوت" ، وكان المسكين قد بلغ من القنوط حداً لا يملك معه رفضا او قبولا . اما زوجته فقالت :

– فليحضر هذا السيد إذن . ! من يدري . !

ودفع السيد ثمن طعامه ، ونبه على سائقه بان يلحق به فور فراغه من إصلاح السيارة وقال له :

– الحق بي عند المزرعة بعد ساعة .. ساعة واحدة فلست في حاجة إلى اكثر منها .

ثم مضى إلى مزرعة "جوسوت" .

وفي المزرعة اصغى إلى حديث "جوسوت" وكان "جوسوت" مسهباً في حديثه، نزوعا إلى الثرثرة والإفاضة ، فقاد السيد إلى الجدران التي تسور المزرعة واراه المفتاح الذي اغلق به الباب ، ومضى يشرح له تفاصيل البحث الذي قام به مع رجاله .

ومن الغريب ان هذا السيد كان شارد الذهن كانما لا يصغي إلى حديث "جوسوت"، كان يرمي ببصره هنا وهناك في شرود دون ان يتكلم، ولما فرغوا من الطواف بالمزرعة قال "جوسوت" :

– هيه .. ماذا ترى ؟

– ماذا ارى ؟

– اتظن انك كشفت الحقيقة . ؟

ومرت لحظة دون ان يحير الزائر جوابا .

ثم قال :

– كلا ..

فرمى المزارع بيديه إلى السماء وهتف يقول :

– بالتاكيد كلا .. انى لك ان تكشف الحقيقة وقد سعينا إليها من قبل طيلة اسبوعين كاملين . ! اتريد ان اصارحك برايي . ؟ إني اعتقد ان "ترينارد" العجوز قد قضى نحبه في الحفرة التي لاذ بها ، ومعه الأوراق المالية . ! نعم .. إن اموالي معه .. ستبلى إلى جانب جثته .. هذا هو رايي .. وثق انه عين الصواب . !

ولما امسك "جوسوت" عن الكلام قال الزائر الغريب في صوت هادئ :

– هناك شيء واحد يثير الاستغراب :. لا شك ان اللص استطاع في اثناء الليل ان يقتطف من الثمار ما يقتات به حتى لا يموت جوعا .. ولكن كيف احتال على إطفاء ظمئه وانتم ترصدون العين . !

– لست ادري .. ليس في الحديقة كلها إلا عين واحدة . هذه العين .. ولم نغفل عنها لحظة واحدة طيلة الأيام الماضية .. لا ليلا ولا نهاراً . !

– ومن اين تنبع هذه العين . ؟

من هذا المكان الذي تقف عنده .

– اهناك ضغط كاف يرسل الماء إلى الحوض من تلقاء نفسه . ؟

– نعم .

– وإلى اين يجري الماء إذا ما خرج من هذا الحوض . ؟

– يجري في هذه الانبوبة الممتدة تحت الارض حتى ينتهي إلى البيت ، فلا سبيل له كما ترى إلى إطفاء ظمئه ، ونحن نرصد المكان ليلا ونهاراً .

– الم تمطر السماء في خلال الأسابيع الأربعة الماضية . ؟

– نعم .. لم تمطر ولا مرة واحدة .

وسار الزائر إلى النبع وفحصه ، وكان الحوض عبارة عن بضعة الواح من الخشب ضم بعضها إلى بعض ، والماء يجري من خلالها .

وقال الزائر متسائلا :

– اظن ان عمق الماء لا يزيد على قدم واحد . ؟ اليس كذلك . ؟

ولكي يقيسه تناول عوداً من القش ارسله في اغوار الماء .

ولكن فجاة .. رفع راسه وابتسم وقال :

– امر غريب . !

ثم انفجر يضحك . !

وجرى "جوسوت" إلى الحوض وجعل يحملق فيه كانما خطر له ان اللص يمكن ان يكون مختبئا بين الالواح وقال :

– هيه . ! ما الذي جرى . ؟ ما الذي يضحكك . ؟

وهتفت الأم "جوسوت" قائلة :

– هل اهتديت إليه . ؟ هل رايته . ؟ واين هو . ؟

فقال الزائر وهو لا يزال غارقا في الضحك :

– اطمئنوا إنه ليس بين الألواح ولا تحتها . !

وسار السيد الغريب إلى البيت وفي إثره "جوسوت" وزوجته . وكان صاحب الفندق ونفر من اهل القرية قد حضروا إلى المزرعة وظلوا في صمت وسكون يراقبون حركات الزائر .

قال الزائر وقد اشرق وجهه وعلت شفتيه ابتسامة خفيفة :

- كان الأمر كما توقعت . ! لم يكن هناك مفر من ان يروي اللص ظماه، ولما لم يكن هناك غير العين .

فقال "جوسوت" مقاطعاً :

- اسمع .. لو انه جاء إلى العين لرايناه . !

- إنه لم يكن يطفئ ظماه إلا ليلا .

- ولو .. لقد كنا احرياء بان نسمع وقع خطواته . بل لقد كنا احرياء بان نراه ايضا إذ كنا على قيد خطوات قليلة من العين .

- واللص ايضا على قيد خطوات قليلة من العين . !

فقطب الأب "جوسوت" جبينه وقال :

- اكان يشرب الماء من الحوض . ؟

- نعم ..

- كيف . ؟

- بطريقة ما

- اية طريقة . ؟

- هذا .

وبسط الزائر عود القش الذي التقطه من الارض ليقيس به غور الماء واستطرد يقول :

- بواسطة هذا العود استطاع اللص ان يشرب الماء من الحوض . تامله . إنه ليس عوداً واحداً وإنما هو عود طويل مؤلف في الواقع من ثلاثة اعواد تداخلت اطرافها . وهذا اول شيء استرعى بصري . ما الذي يدعو إلى إيصال هذه الاعواد الثلاثة بعضها ببعض . ؟ هذا العود كما ترى دليل قاطع

فقال "جوسوت" في شيء من الارتباك :

- دليل قاطع على اي شيء . !

وتناول الرجل الغريب بندقية على جدار الغرفة وقال :

- اهي محشوة . ؟

فاجاب الأخ الأصغر :

- نعم .. وقد اعتدت ان اصطاد بها العصافير . إنها محشوة بالخرطوش فقط .

- حسنا .. إذن فلن يؤذيه الخرطوش ولكنه سيكشف لكم مخباه

ثم علت وجهه امارات الجد وقال في لهجة صارمة وقد اخذ بذراع "جوسوت":

- اسمع يا "جوسوت" ! إنني لست بوليسا سريا . وما جئت لاقبض على السارق . ولهذا لن ارضى مطلقا بان يزج به في السجن .. وحسبه قصاصا أنه امضى حبيسا في المزرعة اربعة اسابيع عانى في خلالها الام الجوع ونوبات الخوف وهذا عندي ابلغ عقاب يمكن ان ينزل به .

فعدني بشرفك انت واولادك انكم لن تتعرضوا له بسوء . وانكم لن تسلموه إلى البوليس ..

- يجب اولا ان يعيد إلينا المال المسروق .

- بالتاكيد . بالتاكيد . هيا اقسموا .

واقسم "جوسوت" واولاده .

وسار السيد الغريب صوب باب الحديقة . ثم رفع بندقيته في حركة سريعة وسددها إلى ناحية شجرة الفراولة واطلق النار .

ارتفعت صرخة حادة وسقطت إلى الأرض فزاعة الطيور . ذلك التمثال المصنوع من العصي والاقمشة على صورة الإنسان . كان طيلة الشهر الماضي معلقا فوق الغصن ؛ اما الآن فهوى إلى الأرض . على انه ما كاد يبلغها حتى انبعث واقفا وانطلق يجري .

ذهل الحاضرون لما راوا .. تمثالا من القش والعصي والخرق البالية، وتدب فيه الروح ويجري . !

وحين تبددت صدمة الذهول الأولى تصايح الحاضرون وانطلقوا يركضون في إثر التمثال . ! وكان المسكين يتعثر في خطوه والخرق البالية تعوق حركته . فلحقه المطاردون . ولكن قبل ان ينقضوا عليه كان السيد الغريب قد خف إليه وبسط عليه حمايته . وذاد عنه ابناء الأب "جوسوت" .

- ارفعوا عنه ايديكم .. هذا الرجل لي ! ولن اسمح لمخلوق بان يمد إليه يدأ بالاذى . !

ثم التفت إلى «تمثال» الفزاعة وقال :

- ارجو الا اكون قد اذيتك كثيرا يا "ترينارد" . !

وكان "ترينارد" واقفا على ساقين لفتا بالقش والخرق ، وكذلك كان شان ذراعيه . اما وجهه وراسه فقد اختفيا وراء اكداس الخرق البالية التي لفهما بها، فلو انك نظرت إليه لما خطر لك إلا انه تمثال الفزاعة ، وما كان لك ان تصدق ان هناك رجلا قد اختفى داخل التمثال والقى على نفسه كساءه وخرقه ، وكان المنظر عجيبا وغير متوقع فلم يملك الحاضرون انفسهم من الإغراق في الضحك.

وازاح السيد الغريب الاقمشة التي يلف بها الرجل راسه فانكشفت عن وجه قذر ولحية بيضاء ، وتتوسط الوجه الهضيم الهزيل عينان تلتمعان بتاثير الحمى.

واشتد ضحك الحاضرين .

وصاح "جوسوت" مزمجراً :

- اين المال . ؟ اين الستة الآلاف فرنك . ؟

فرده السيد الغريب بإشارة من يده وقال :

- صبراً .. سنرد إليك مالك .. اليس كذلك يا "ترينارد" . ؟

ثم تناول مبراته ومزق الخرق والقش وقال مازحا :

- إن شكلك يثير الضحك ايها الصعلوك . ! ولكن ليت شعري كيف استطعت ان تعمد إلى هذه الحيلة . ؟ إنك موفور الذكاء متوقد الذهن .. او انك على الاقل مجدود حسن الحظ .. لقد اغتنمت فرصة ضعف الرقابة في الليلة الأولى فالقيت على نفسك اسمال الفزاعة .. فكرة رائعة والله . ! اكان ممكنا ان يخطر لاحد ان السارق قد استحال تمثالا لإرهاب الطيور . ! إن العين تقع على هذا التمثال مئات المرات في اليوم فلم يخطر لاحد ان يطيل إليه النظر او ان يفحصه . ! ولكن يا لك من مسكين . ! لا شك ان هذا الوضع الممل .. طيلة هذين الاسبوعين وانت

منطرح على الغصن فوق بطنك ، وذراعاك وساقاك متدلية مرخاة . ! يا له من وضع . ! ويا له من عذاب .. ولشد ما كان يستولي عليك الفزع إذا ما حركت عفواً ذراعا او ساقا . وليت شعري كيف يؤاتيك النوم وانت على هذه الحال . ؟ وكان ينبغي ان تاكل ! وتشرب ايضا . ! وما كان حالك وانت تشعر بالمراقبين على قيد خطوة منك وبنادقهم في ايديهم . ! ولكن اعجب حيلة لجات إليها هي عود القش بلا نزاع.! لقد انتزعت من القش الذي لففت به جسدك بضعة اعواد ادخلت اطرافها بعضها في بعض حتى طالت وامتدت وبلغت حوض الماء ..

وبهذه الطريقة استطعت ان تغمس طرف العود في الحوض وتمتص الماء دون ان يشعر بك احد او يرتاب في امرك مخلوق . ! والله إني لاشتهي ان اقبلك لفرط إعجابي بك . ! خدعة رائعة يا "ترينارد" . !

ثم اردف يقول وهو يبتسم :

- ولكن مضى شهر كامل وانت لا تستحم ولا تغتسل .. إنك خنزير قذر .. لقد شربت واكلت .. وهضمت .. معدتك ما تناولت اوه .. ! دعوني اسد انفي باصبعي، فإنني اشم لك رائحة نتنة .. خذوه ايها السادة فإني ذاهب لاغسل يدي . !

وانقض «جوسوت» وابناؤه على الفريسة التي القيت إليهم وصرخوا فيه قائلين:

- اين المال الذي سرقت . ! اعد إلينا الأوراق المالية . !

حاول الصعلوك وهو في إعيائه وضعفه بان يتظاهر بالدهش ، فصاح فيه "جوسوت" :

- دع التظاهر بالبلاهة فإنها لن تغني عنك شيئا . ! هيا .. ابرز الأوراق المالية الستة . !

فقال "ترينارد" في صوت متلعثم :

- ماذا . ؟ ماذا تريدون مني . ؟

- المال .

- اي مال . ؟

- الأوراق المالية .
- اية اوراق مالية . ؟
فصاح "جوسوت" :
- تباً لك . ! لقد بدأ صدري يضيق .. هيا يا اولاد ..
وانقض أبناؤه الأربعة على "تريـنارد" وطرحوه ارضا ومزقوا ثيابه ونزعوا عنه خرقه البالية وفتشوه . ولكنهم لم يجدوا شيئا .
وصاح "جوسوت" في حنق وغيظ :
- ايها اللص .. ايها الشرير .. ماذا فعلت بها . ؟
وبدا على تريـنارد الاستغراب والدهش ، وراح يقول :
- ماذا تريدون مني . ؟ اي مال تبتغون . ؟ إنني لا احمل ولا سنتيما واحداً .!
ولكن عينيه لبثتا تطيلان النظر إلى ثيابه المكومة على الأرض ، وكان يلوح عليه انه لم يفهم .
ولم يستطع "جوسوت" ان يكتم غضبه ، فانهال مع اولاده على المسكين ضربا وركلا .. ولكن هذا العقاب لم يسفر عن اية نتيجة ، غير ان "جوسوت" كان موقنا من ان "تريـنارد" خبأ المال قبل ان يتقمص تمثال الفزاعة .
- اين اخفيتها ايها الشيطان . ؟ في اي ركن من الحديقة خبأتها . ؟
فقال الصعلوك وأمارات الغباوة ظاهرة على وجهه :
- المال . ؟
- نعم المال . ! المال الذي دفنته في مكان ما إذا لم نعثر عليه سلمناك إلى البوليس . ولدينا شهود على ما فعلت . ! استشهدون معنا ايها الأصدقاء . وكذلك السيد الذي كشف امرك . والتفت "جوسوت" إلى ناحية عين الماء ، حيث كان السيد الغريب قد مضى ليغسل يديه . وادهشه انه لم ير السيد عند العين .
قال متسائلا :
- هل انصرف . ؟

فاجابه احد الحاضرين :
- كلا . لقد اشعل سيجارة ومضى يتريض في الحديقة .
فقال "جوسوت" :
- حسنا .. إنه وحده هو الذي يستطع ان يرشدنا إلى مخبأ الاوراق كما ارشدنا من قبل إلى مخبأ الرجل .
فقال أحد الحاضرين :
- إلا إذا ..
فقال "جوسوت" مردداً :
- إلا ماذا . ؟ ماذا تريد ان تقول . ؟ افصح عما في ذهنك إن كان في ذهنك شيء .. تكلم .. ماذا تريد ان تقول . ؟
ولكنه امسك فجأة وقد طاف بذهنه خاطر مباغت ملأ نفسه شكا واشاع الريبة في صدره . !
وطاف نفس الخاطر باذهان جميع القرويين الحاضرين . !
الم يكن الامر غريبا . ؟ وصول هذا السيد إلى القرية . وخلل السيارة واسلوبه في طرح الاسئلة على اصحاب الفندق . وطريقته التي توسل بها إلى دخول المزرعة . !
اليست هذه الأساليب جميعها أسلوب رجل من كبار المحتالين قرأ تفاصيل الحادث في الصحف فابتدع هذه الحيلة ليؤذن له بدخول المزرعة حتى يجرب حظه .. !
واخيراً تكلم صاحب الفندق . نطق بما يجيش في صدور الحاضرين:
- إنه والله رجل بارع الحيلة . ! لا شك انه اخذ الاوراق المالية من جيب "تريـنارد" بين سمعنا وبصرنا وهو يفتشه دون ان نفطن إلى الامر.
فصاح "جوسوت" :
- مستحيل . ! وإلا لغادر هذه المزرعة من هذه الناحية . من ناحية البيت . قبل ان نتنبه إلى الامر ونقبض عليه . ولكنه سار في هذا

الاتجاه ، إنه الآن يتريض في الحديقة .. !

فقالت الام "جوسوت" تذكره :

- والباب الخلفي الصغير .. ؟

- مفتاحه معي لا يبرح جيبي .

- ولكنك أريته له .. ؟

- هذا صحيح .. غير اني استعدته منه على الفور ... وها هو ذا معي ... في جيبي ..

ودس يده في جيبه ليخرج المفتاح .

ثم اطلق صرخة حادة .

- يا إلهي .. ! اختفى المفتاح .. !

وانطلق يجري في الحديقة وفي إثره ابناؤه ونفر من القرويين .

وما اجتازوا من الحديقة نصفها حتى بدا في اسماعهم دوي سيارة.

لا ريب انها سيارة ذلك السيد الغريب ... الم يامر سائقه بان ينتظره عند باب المزرعة .. ؟

وحين بلغ الرجال الباب طالعهم على الواحه الخشبية اسم مكتوب بالطباشير بحروف كبيرة .

وكان هذا الاسم هو :

"ارسين لوبين"

وتحت الاسم بحروف صغيرة هذه الكلمات :

«إنك يا عزيزي "جوسوت" شره بخيل وما فعلت في حياتك خيراً وما اسديت إحسانا ولكن غداً سيصلك من إحدى الجمعيات الخيرية خطاب شكر على مبلغ الستة الآلاف فرنك التي تبرعت بها للجمعية وسيلقبونك بالمحسن الكبير .. !

«الآن يمكنك ان تموت مطمئنا .. فستدخل الجنة .. !!»

«ارسين لوبين»

وكان "جوسوت" خليقا بان يشفي غليله لو انه استطاع ان ينتقم من

"تريناردِ" العجوز . ولكن القرويين الذين حضروا الحادث شهدوا بأن تفتيش المتهم لم يسفر عن شيء إذ لم يعثروا معه على الأوراق المالية فبراه القاضي من تهمة السرقة ولكنه حكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر جزاء اعتدائه على الام "جوسوت" .

وحين اطلق سراحه وجد في انتظاره بباب السجن رجلا لا يعرفه .

ودفع الرجل إلى يد "تريناردِ" بظرف فيه أوراق مالية قيمتها مائة فرنك .. والمائة فرنك عند رجل مثل "تريناردِ" كنز عظيم .

وكان "تريناردِ" سعيدا .

وكان "لوبين" سعيدا .

ولم يكن هناك من شقي محزون إلا "جوسوت" وزوجته وابناؤهما الأربعة .. !

* * *

الفصل الرابع

ساد القرية ذعر وفزع .

وكان ذلك في صباح يوم أحد .

غادر فلاحو قرية (سانت نيكولاس) الكنيسة بعد ان قضوا ساعة يتعبدون . وانتشروا في ساحة القرية يقصد بعضهم إلى داره وبعضهم إلى عمله .. وكانت تتقدمهم امراة .

وانعطفت المراة يمينا متجهة صوب الطريق العام .

وفجاة تنحت عن طريقها وتراجعت إلى الخلف في حركة سريعة وقد اطلقت من فمها صرخات مدوية تدل على الياس والقنوط .

وفي نفس تلك اللحظة تراءت للابصار سيارة ضخمة .. سيارة هائلة الحجم .. انبعثت امامهم بغتة كانها شيطان مريد انشقت عنه الأرض . وكانت منطلقة بسرعة خارقة كان الذي يتولى قيادتها مجنون لا يبالي بالأرواح والناس .. !

وانفرط الناس الذين كانوا يمشون صفوفا متراصة .. وتناثروا في كل الأركان وقد اطلقوا صيحات مليئة بالفزع والياس .. تنحوا عن طريق السيارة وهم لا يصدقون انهم نجوا .

واتجهت السيارة في سرعتها الخارقة صوب الكنيسة .. وحين اوشكت ان تصطدم بها وتتحطم على درجها انحرفت فجاة . واتجهت إلى ناحية البيت المقابل . وقبل ان ترتطم به انعطفت مرة اخرى واتخذت سبيلها إلى الطريق العام . ثم دارت حول منعطف الطريق . واختفت بنفس السرعة التي ظهرت بها والناس من حولها تهول مصعوقون ينظرون ولا يتكلمون . وقد ادهشهم ان مرت السيارة إلى جوار هذه الجموع دون ان تمس احدا منهم بسوء .

ولكنهم راوا كل شيء .. !

راوا في داخل السيارة رجلا جالسا إلى عجلة القيادة .. وكان الرجل متشحا بمعطف من جلد الماعز وعلى راسه قبعة من الفراء . وفوق عينيه نظارة كبيرة سوداء من نظارات القيادة تحجب الشطر الأكبر من وجهه .

وراوا ايضا المراة التي إلى جواره .

على المقعد الأمامي .. إلى جانبه .. امراة متهالكة .. راسها ملقى على مسند السيارة .. ووجهها غارق في الدم .

وكذلك سمعوا .. ! سمعوا صرخات رعب وفزع .. صرخات الم وعذاب .. !

وجمد القوم في اماكنهم .. واجمين .. مذهولين .. كانما تراءت لأبصارهم صورة من صور الجحيم ..

غمغم احدهم يقول :

– دم .. !

وكان الدم في كل مكان .. !

في وسط الميدان .. على .. قارعة الطريق .. عند المنعطف .. على درج الكنيسة .. !

وحين انطلق نفر من الرجال في إثر السيارة اتخذوا من الدماء المتناثرة اثرا يهديهم إلى الطريق الذي يبتغون ..

وكان جليا أن السيارة انطلقت في الطريق العام .. ولكنها اتخذت في سيرها طريقا عجيبا .. كانت تسير من جانب إلى جانب في خط متعرج .. كانت آثار العجلات المنطبعة على الأرض .. متعرجة بشكل اثار فزع من رآها .. في كل خطوة موت مترصد .. !

عجبا .. كيف استطاع قائد السيارة أن يتفادى الاصطدام بهذه الشجرة .. ؟ وكيف تمكن من الانحراف بسيارته في اللحظة المناسبة قبل أن تهوى إلى الخندق .. ؟

اي شيطان هذا الرجل الذي يقود السيارة .. ؟ اي مجنون معتوه .. ! اي سكران فاقد الرشد .. ! بل اي مجرم فزع خائف يقود سيارته على هذا النحو من الانعطافات والالتواءات .. ! ؟

وقال احد الفلاحين :

– لن تجدي قيادة السيارة بهذه الطريقة في الغابة .. !

وقال آخر :

دون شك .. إنها جديرة بان تنقلب وتتهشم .. !

وتقع غابة (مورج) على مسافة ثمانمائة متر من القرية .. والطريق

فيما بين الغابة والقرية مستقيم لا ينعطف إلا مرة واحدة انعطافا خفيفا متدرجا ، ولكنه حين يبلغ الغابة يتخذ رسما اخر . فتراه قد انعطف فجاة انعطافا حادا وتغلغل بين الصخور والاعشاب ، وما من سيارة استطاعت ان تدور في هذا المنعطف إلا بعد أن تهدئ من سرعتها تهدئة كبيرة تدنيها من السكون .. وقد اقامت البلدية عند هذه الناحية علامات تحذر بها السائقين من الإسراع تفاديا من الخطر الذي يتهددهم .

وانتهى الفلاحون إلى راس الغابة وهم يلهثون تعبا وقد تقطعت انفاسهم لفرط ماركضوا .

وصاح احدهم :

ارايتم مصداق قولي .. !

- ماذا .. ؟

- انقلبت السيارة .. !

وفعلا كانت السيارة الليموزين منقلبة على جانبها وقد تهشمت وتداخلت اجزاؤها بعضها في بعض حتى اختلط شكلها وكادت تختفي معالمها .

وإلى جانبها جثة المراة .. !

على ان الشيء الذي اثار اشمئزاز الحاضرين .. الشيء الذي أهاج رعبهم وملأ قلوبهم فزعا ، إنما كان راس المراة .. !

كان راسها مهشما .. مسحوقا .. تحت حجر ضخم .. حجر ثقيل هائل كانما رفعته قوة شيطانية ودقت به راس المراة المسكينة ....

اما الرجل الذي كان يتولى قيادة السيارة .. الرجل الذي يرتدي معطفا من جلد الماعز .. فلم يكن له في المكان اي اثر .

لم يهتدوا إلى اثره في مكان الحادث .. ولم يهتدوا إليه في المواضع المجاورة .. واغرب من هذا ان نفراً من العمال كانوا قادمين من الناحيةالمقابلة قرروا انهم لم يلمحوا الرجل ولم يلتقوا به في طريقهم إذن فقد اختفى الرجل في الغابة .. لاذ بها وتوارى في ارجائها .

وانطلق رجال الشرطة في انحاء الغابة . يفتشون وينقبون يساعدهم نفر من الفلاحين ، ولكن التوفيق اخطاهم فلم يعثروا له على اي اثر .

وجاء قضاة التحقيق ورجال النيابة واشرفوا على البحث بانفسهم وبعد ثلاثة ايام في بحث متواصل لم يقعوا على شيء جديد . يمكن أن يلقي ضوءاً على هذه المأساة العجيبة . بل إن هذه الأبحاث المتواصلة كانت على النقيض مفضية إلى مضاعفة الإبهام وزيادة اللغز تعقيدا .

وثبت من التحقيق ان الحجر الهائل الذي سحق به راس المراة إنما جيء به من منحدر التل الذي يبعد عن مكان الحادث اكثر من ستة وثلاثين مترا . وقد استطاع القاتل أن يحمل الحجر الثقيل كل هذه المسافة في خلال دقائق قليلة ثم يهشم به راس ضحيته .

وبعد ثمانية ايام من الحادث وقع حادث غريب .. لم تكن هناك ريبة في ان القاتل ليس مختفيا في الغابة . فلو انه كان فيها لهان العثور عليه وهي صغيرة محدودة المساحة . ولكن بعد الأيام الثمانية كان للقاتل من الجراة والجسارة ما جعله يحضر إلى راس الغابة ويخلع معطفه المصنوع من جلد الماعز ويتركه هناك .

فلماذا فعل ذلك .. ؟ ولاي غرض .. ؟

لم يكن في جيوب المعطف شيء غير بريمة وفوطة .. فما معنى هذا كله .. !

اي سر ينطوي تحت البريمة والفوطة والتخلي عن المعطف .. ؟

اتصل رجال البوليس بالشركة التي صنعت السيارة فعرفوا انها بيعت منذ ثلاثة اعوام إلى رجل روسي . وقرر مدير الشركة أن الروسي باعها بدوره إلى شخص لا يعرفه .. فمن هو المشتري الثاني .. ؟ سؤال لم يدر احد له جوابا . فقد كانت السيارة منزوعة الرقم .

وكان مستحيلا ايضا التعرف على شخصية المراة القتيل .

هشم الحجر معالم وجهها حتى اختلط اللحم بالدم بالعظام .. اما ثيابها فكانت كثياب سواها من النساء . فلم يكن فيها اي اثر يهدي إلى صاحبتها .

وشرع رجال البوليس يوجهون ابحاثهم إلى ناحية اخرى .. انطلقوا في الطريق المضاد الذي سارت فيه السيارة ومضوا يسالون الناس ويستجوبونهم .. ولكن ايستطيع احد ان يقرر أن السيارة كانت في الليلة الماضية قد اتخذت هذا الطريق .. ؟

فحصوا كل شبر من الارض .. واستجوبوا كل إنسان . !

واخيرا .. بعد تحريات دقيقة متواصلة استطاعوا ان يعرفوا ان سيارة ليموزين وقفت في مساء السبت امام حانوت بقال في قرية صغيرة تبعد ثلاثمائة وعشرين كيلومترا من (سانت نيكولاس) وعند مفترق يتشعب من الطريق العام . ولقد ملا السائق خزان السيارة بالبنزين كما ابتاع بضع صفائح إضافية . وكذلك ابتاع كمية من المؤن: قطعة من اللحم وفاكهة وصندوقاً من البسكويت ونصف زجاجة من الشراب من طراز النجمة .

وكانت هناك امراة جالسة على المقعد الامامي للسيارة إلى جوار السائق . وقد لزمت مقعدها لا تبرحه . وكانت ستائر المقعد الخلفي مسدلة ولكنها كانت تهتز ما بين لحظة واخرى . وكان البقال موقنا من ان هناك شخصا ما جالسا في المقعد الخلفي .

فإذا سلمنا باقوال البقال اشتد اللغز تعقيدا وتضاعف ما يكتنفه من الإبهام. إذ لم يسفر التحقيق عن اي اثر يمكن ان يدل على وجود شخص ثالث خلاف السائق والمراة .

ولما كان السائق قد ابتاع مئونة للطعام ، فقد انصرفت همة المحققين إلى اكتشاف ما صارت إليه هذه المئونة .. وما الذي فعلوه بها ؟

وشرع رجال البوليس السري يبحثون من جديد في المنطقة الواقعة بين حانوت البقال وقرية (سانت نيكولاس) .

وإذا صاروا على مسافة تسعة عشر كيلومترا من القرية .. على راس مفترق طريقين .. لقوا راعيا ارشدهم إلى حقل قريب تحجبه عن الابصار اشجار ملتفة ، ذاكراً لهم انه راى في الحقل زجاجة فارغة وبقايا طعام .

ولم يداخل الشرطة السريين اي شك فيما يسعون إليه .. نعم .. وقفت السيارة في هذا المكان .. وفي الصباح تناولوا فطورهم ثم تابعوا رحلتهم وكان الدليل الحاسم نصف زجاجة الشراب طراز النجمة التي باعها البقال إلى سائق السيارة .. كانت الزجاجة مكسورة بدقها بحجر اطار عنقها .. وعثرت الشرطة على الحجر الذي استعمل في تهشيم الزجاجة . كما عثروا على العنق ، والسدادة

المصنوعة من القصدير لا تزال مثبتة فيها . وكانت هناك علامات تدل على ان محاولة بذلت لانتزاع السدادة بالطريقة المالوفة .

وواصل رجال الشرطة ابحاثهم حتى انتهوا إلى خندق يحاذي الحقل ويتصل بالطريق العام وينتهي بنبع ماء صغير تخفيه اشجار ملتفة .

وملات خياشيمهم رائحة نتنة ، فازاحوا الاشجار فإذا بهم يرون تحتها جثة..

جثة رجل هشم راسه تهشيما حتى استحال شبيها بقطعة من العجين.!

وكانت ثياب القتيل مؤلفة من جاكتة وبنطلون اسودين ، وكانت الجيوب فارغة ليس فيها ورقة او بطاقة او ساعة . !

ودعي البقال ومساعده .. واستطاعا بالرجوع إلى الثياب ان يقررا ان القتيل هو سائق السيارة (الليموزين) الذي ابتاع البنزين والمئونة مساء يوم السبت المعهود .

وهكذا تفتحت للبحث نواح جديدة واتخذ التحقيق وجهة اخرى : لم تعد نظرية المحققين قائمة على ان عماد الماساة رجل وامراة قتل احدهما صاحبه ، وإنما انقلب الامر فصار ابطال الفاجعة ثلاثة : امراة ورجلين وقد قتل احد الرجلين صاحبه ثم ثنى بالمراة .

ولم يكن هناك شك في ان القاتل هو ذلك المسافر الثالث الذي كان جالسا في المقعد الخلفي من السيارة .. ذلك الرجل الذي كان يحرك ستائر السيارة حركة اوقعت في روع البقال ان هناك شخصا في الجزء الخلفي من السيارة .

لقد قتل السائق وافرغ جيوبه واصاب المراة بجرح وحملها معه في السيارة إلى .. إلى الموت . !

* * *

إذا ما اسفر التحقيق في إحدى القضايا عن اكتشافات جديدة ، وادلة غير منتظرة ، وقع في روع المحققين ان الحقيقة اوشكت ان تتكشف وان معميات اللغز ستتبدد ، ولكن لا ، بل ذلك وهم لا اثر له من الصحة . !

لم يزد الامر على ان وضعت الجثة الثانية إلى جانب الجثة الأولى .!

باكتشاف جثة القتيل اضيف لغز جديد إلى اللغز القديم ، وارتفعت التهمة عن كاهل شخص فوقعت على كاهل شخص اخر ، وكان هذا كل شيء .

فبخلاف هذه الوقائع والاكتشافات المادية الثابتة لم يكن هناك غير ظلام دامس .. طلاسم معقدة لا سبيل إلى استكناه اسرارها :

ما اسم المراة القتيلة .؟

ما اسم الرجل القتيل .؟

ما اسم القاتل .؟

كل هذه اسئلة دارت في الخاطر دون ان يحير عنها جوابا .!

وماذا صار إليه امر القاتل .؟ كيف استطاع ان يختفي بمثل هذه السهولة .؟

اليست هذه ظاهرة تثير الاستغراب ، ولقد كانت في الواقع ظاهرة ادنى إلى المعجزات . ! لقد اختفى ولم يختف .. هرب ولم يهرب ، الم يعد بعد ايام إلى مكان الحادث فيخلع معطفه ويتركه هناك .؟

على ان هذه الرجعات قد تكررت .. في المرة الأولى ترك معطفه ، وفي المرة الثانية ترك قبعته المصنوعة من الفراء ، وفي المرة الثالثة ترك نظارته وكانت مهشمة يعلوها الطين ، وكانت هذه اغرب زياراته الثلاث لقد امضى رجال البوليس ليلة يقظة عند الصخرة القائمة على راس الغابة ، وفي الصباح ادهشهم أن يروا النظارة عند منعطف الصخرة.!

فكيف جاء القاتل وانصرف دون أن يروه أو يشعروا به .؟

واهم من هذا كله : لماذا حضر .؟

حار الناس في الامر .. وما ترددت هذه القصة إلا وسرت رعدة في ابدان السامعين والمتكلمين .. كانوا يشعرون جميعا بان هناك شيئا خارقا .. شيئا شاذا .. يسيطر على الموقف .. ايكون القاتل شيطانا .. !

ولقد نزل المرض بالقاضي الذي يتولى التحقيق فاعتزل العمل .

وبعد اربعة ايام اعلن سلفه في صراحة انه عاجز عن إزاحة معميات هذا اللغز .

وقبض على صعلوكين . واطلق سراحهما في الحال . ! ورقب

صعلوك ثالث ولكنه لم يعتقل . لم يكن هناك اي دليل ضده .. بل لم تكن هناك شبهة من دليل !

وقصارى القول إنها كانت قضية معقدة . مربكة .. محيرة .. كانت لغزاً مركبا .

ولكن كلمة عارضة كانت سببا في فك الطلاسم . او بعبارة اخرى ، كانت سببا في سلسلة من الحوادث افضت إلى حل اللغز . فقد اوفدت إحدى صحف باريس الكبرى أحد محرريها إلى مكان الحادث لدراسة ظروفه فكتب الشاب مقالا اختتمه بهذه الجملة :

« وهاانذا اكرر القول بانه لا مفر لنا من الانتظار. ينبغي أن ننتظر ظهور حوادث جديدة وحقائق جديدة . يجب ان ننتظر حادثا يميط اللثام عن هذه الأسرار الغامضة . اما والحال على ما هي عليه الآن فكل بحث جديد إنما ينطوي على تضييع للوقت . إن الحقائق الراهنة التي لدينا لا تصلح حتى لإبداء فرض معقول . فنحن في ظلام دامس ، ظلام يكتنفنا من كل ناحية وياخذ علينا المسالك .

الآن لا مجال للعمل .. ولا مجال لبحث جديد .. ولو ان "شرلوك" نفسه تولى بحث هذه القضية لعاد بالإخفاق والخيبة . وإننا ننكر جميعاً ما ابداه "ارسين لوبين" من براعة وحذق عجيبين في إماطة اللثام عن لغز ذلك اللص الخفي الذي سرق الستة الاف فرنك من المزارع "جوسوت" ..

نعم .. ننكر ما فعله "لوبين" بالإعجاب . ولكن فليظهر لنا براعته في هذا الحادث إن شاء .. إني اتحداه بانه سيقف عاجزاً مكتوف اليدين امام هذا اللغز .. !

نعم .. إني اتحدى "ارسين لوبين" .. وإني لموقن بانه سيفر هاربا من هذا التحدي .. »

بهذه الكلمات التي جاءت عفواً اختتم المحرر مقاله .

وفي اليوم التالي نشرت هذه الصحيفة بالذات البرقية التالية :

«كثيرا ما قبلت التحدي الذي يوجه إلي .. ولكن من العار ان اقبل التحدي في امور تافهة حقيرة كالذي نحن بصدده .. إن ماساة غابة (مورج) ليست لغزاً إلا عند الاطفال .

"ارسين لوبين"

وعقب المحرر على هذه البرقية بقوله :

• إننا ننشر هذه البرقية على سبيل التفكه فإن من الجلي انها مدسوسة على "ارسين لوبين" .. لسنا ننكر أن "لوبين" ولوع بالمزاج العملي ولكننا نعتقد انه ابعد الناس عن مثل هذا الإدعاء والغرور •

وبعد يومين نشرت نفس الصحيفة خطابا مطولا مسهبا من "ارسين لوبين" .

وفي هذا الخطاب اماط "لوبين" اللثام عن اللغز . وبسط نظريته في جلاء .

وادلى بما سد الثغرات المفتوحة .

وهذا هو نص الخطاب بحذافيره :

• سيدي العزيز :

لقد تحديتني فعرفت كيف تثيرني وتدفعني إلى العمل . ! هذه هي ناحية الضعف مني ، لقد تحديتني .. وإني لقابل هذا التحدي .

واستهل حديثي بان اكرر عليكم قولي : إن ماساة غابة (مورج) ليست لغزاً إلا عند الأطفال .. ! والدليل على بساطته .. سيبدو لكم حين اشرح الظروف والملابسات المختلفة للحادث .

واستطيع ان اجمل رايي في هذه العبارة : إذ بدت إحدى الجرائم في نظرنا شاذة خارقة للمعقول .. بدت محيرة لا يمكن ان تصدر عن إنسان وإذا بدا المعقول .... منحصراً في الأخذ بغير المعقول . فلنعمد في تفسيرها إذن إلى بواعث تخرج عن نطاق القدرة البشرية .

استرعت بصري منذ البداية هذه الظاهرة العجيبة المرتكزة على الشذوذ ..

فلدينا اولا ذلك الخط الملتوي المتعرج الذي اتخذته السيارة في سيرها . حتى ليقع في الأذهان ان الذي كان يتولى قيادتها مبتدئ لا يحترف فن القيادة.

ولقد ظن بعض الناس ان سائق السيارة إما مجنون او سكران .

وهذا في ذاته افتراض معقول ... ولكن لا الجنون ولا السكر يمكن ان يعدا تعليلا معقولا لهذه القوة الخارقة التي ابداها القاتل في حمل حجر هائل مسافة ستة وثلاثين مترا وفي خلال دقائق قليلة ليهشم به

رأس المراة المسكينة .

هذه العملية تقتضي قوة بدنية خارقة .. ولذلك لا اتردد في ان اعد هذه الظاهرة دليلا ثانيا على ما يلابس هذه الماساة من شذوذ وخروج على الأوضاع الطبيعية المالوفة .

ولماذا يجشم القاتل نفسه مئونة نقل هذا الحجر الهائل ليجهز به على الضحية وقد كان في وسعه ان يحقق ما يصبو إليه باستعمال اي حجر من الأحجار الصغيرة المتناثرة حوله .. ؟

وثمة سؤال اخر لابد من طرحه : كيف نجا القاتل من الموت بعد ان انقلبت السيارة ودارت على نفسها اكثر من مرة ؟ !! وكيف اختفى .. ؟ ولماذا خلع معطفه وتركه مكان الحادث .. ؟ ولماذا ترك قبعته في يوم اخر .. ؟ ثم نظارته في يوم ثالث .. ؟

كلها اعمال خارقة غير عادية ... اعمال غبية لا نفع فيها .. ؟

ولماذا اجلس المراة بجواره على عجلة القيادة وهي غارقة في دمائها والناس جميعا يرونها ... وقد كان في وسعه ان يجلسها على المقعد الخلفي والستائر مسدلة فلا تقع عليها عين .. او كان في وسعه ان يقذف بها إلى الخندق كما فعل بالقتيل . ؟

للمرة الثانية اكرر القول بان هذا التصرف من القاتل ينطوي على غباوة عجيبة .. وهو بعد عمل لا نفع فيه إن لم يكن محققا للضرر ..

فكل ناحية من نواحي هذا الحادث مطبوعة بطابع السخافة والغباوة .. كل ظاهرة فيها تشير إلى ما كان يعرو القاتل من تردد .. وغباوة .. وسخافة .. إن له بلاهة كبلاهة الأطفال او المعتوهين .. ووحشية تشبه وحشية الحيوانات الضارية .

•فلننظر مثلا إلى زجاجة الشراب .. لدى القاتل بريمة يستطيع ان يزيل بها سدادة الزجاجة .. لقد عثروا على البريمة في جيب المعطف المصنوع من جلد الماعز .. فهل استعملها القاتل في رفع السدادة . ؟

نعم استعملها .. واية ذلك انهم وجدوا بالسدادة اثارا تدل على ان هناك محاولة بذلت لرفعها بالطريقة العادية المالوفة .. ولكن عملية إزالة السدادة كانت بالنسبة إلى القاتل معقدة مربكة فما كان منه إلا ان هشم عنق الزجاجة بقطعة من الحجر .

دائما الحجر .. ارجوكم ان تلقوا بالا إلى هذه الظاهرة .. الحجر هو سلاحه الوحيد .. يقتل به ضحاياه .. وبه يزيل اعناق الزجاجات .. إنه السلاح الوحيد الذي يحسن استعماله .. السلاح المألوف لديه .. قتل الرجل بحجر .. وقتل المراة بحجر .. وأزال عنق السدادة بحجر . ! ظاهرة جديرة بالالتفات .

إنه وحش .. إنه متوحش .. عقل ملتو .. .. مرتبك .. عراه فجاة الجنون . ! فما السبب . ؟ الشراب دون شك هو السبب .. فبينما كان السائق وزميلته يتناولان الفطور في الحقل احتسى القاتل زجاجة الشراب .. احتساها جرعة واحدة فافقدته الصواب .. خرج من السيارة وهو مرتد معطفه بعد ان اعياه فتح الزجاجة وهشم عنقها على حجر وشربها .

تلك هي القصة كلها .

افقده الشراب الصواب فراح يضرب .. ويهشم .. ويحطم .. بلا تعقل ولا روية ولا سبب .

ثم استولى عليه الخوف .. ادرك مغبة عمله .. عرف ان القصاص سيناله .. فما كان منه إلا ان اخفى جثة الرجل في الخندق .

«وكالاغبياء البلهاء حمل المراة الجريحة معه في السيارة وانطلق هاربا .

لم يكن يحسن قيادة السيارة .. ولكن السيارة في نظره كانت تمثل الأمن والنجاة .. كانت رمزاً للفرار والسلامة .

والآن قد يطرح بعضكم هذا السؤال : والمال المسروق .. ؟ المحفظة المختفية . ! لقد وجدت جيوب القتيل فارغة مقلوبة . !

وجوابا عن هذا السؤال اقول : إنه ليس من المحتم ان يكون القاتل هو نفسه اللص الذي سرق جيوب القتيل .. ! الا يجوز أن يكون السارق صعلوكا شم الرائحة النتنة المنبعثة من الجثة فسار إليها واستولى على ما في جيوبها ؟

«قد يقول احدكم : ولكن لماذا لم يقبض على القاتل ما دام مختبئا في الغابة على مقربة من الصخرة . ؟ وكيف يختبئ طيلة هذه المدة وهو في حاجة إلى الطعام والشراب . ؟

ويلوح لي من توجيهكم لي هذا السؤال انكم لم تفهموا حق الفهم ما اعني .. ولذلك اوثر ان اوجز لاصل إلى الهدف مباشرة بلا لف ولا دوران .. فليتكرم سادتنا رجال البوليس بالاخذ بنصيحتي .

ابحثوا عن هذا الوحش .. في الغابة .. ويكفي ان تبحثوا على بعد مائة متر من الصخرة ..

ولكن لا تبحثوا في الأرض ، وإنما في السماء . !!

نعم . لا تمشوا وعيونكم إلى الارض وإنما ارفعوها إلى السماء .

لا تنظروا فوق الاغصان القريبة الدانية التي يستطيع الإنسان ان يتسلقها بسهولة وإنما انظروا إلى الاغصان الباسقة العالية التي لا يبلغها الإنسان مهما يحاول .. ثم ارموا بابصاركم إلى أعلى اشجار البلوط والصنوبر . هناك ستجدون الوحش القاتل مختبئا .

إنه هناك .. قابع .. حزين .. ينتظر دون ان يفهم عودة صاحبيه ، عودة المراة والرجل اللذين قتلهما في ساعة من ساعات الجنون .. ينتظر دون ان يجرؤ على الهبوط إلى الارض .

واعلموا انه لن يهبط من تلقاء نفسه .. فاحملوا معكم مسدساتكم واطلقوا عليه النار ولكن لا تقتلوه فإنه مسكين غبي ابله يستحق منكم الرحمة :

«يؤسفني ان لدي من دواعي العمل ما يضطرني إلى البقاء في باريس وإلا لاسهمت بنفسي في اكتشاف مخبا القاتل ، ولكني موقن بان البحث اصبح هينا بعد ما ذكرت ، فإذا تكرم "سادتي رجال البوليس" باتباع مشورتي ظفروا بالقاتل في خلال ساعة او ساعتين .

«المخلص : ارسين لوبين»

* * *

ولكن ، سادته رجال البوليس ، لم يتكرموا باتباع هذه المشورة بل استهانوا بالامر إلى درجة جعلتهم يسخرون من المقال وكاتب المقال وقد وقع في روعهم انه يريد أن يهزأ بهم .

غير ان نفرأ من اهل القرية اخذوا بهذا النصح .. حملوا بنادقهم ومضوا إلى الغابة وطفقوا يبحثون .. بحثوا وعيونهم إلى السماء وليست إلى الارض .. وكانوا يطلقون الرش بين الاغصان الملتفة

المتشابكة التي لا سبيل إلى اكتشاف ما يختبئ في داخلها .

وبعد نصف الساعة راوا القاتل .

اطلقوا عليه رصاصتين فهوى من غصن إلى غصن حتى استقر على الأرض .

ولم تكن الرصاصتان قاتلتين فاخذوه حياً . !

وفي مساء ذلك اليوم ظهرت إحدى صحف باريس التي لم يبلغها خبر اعتقال القاتل وفيها هذه الفقرة :

«بذل البوليس اقصى جهده في البحث عن مسيو ومدام "براجواف" اللذين وصلا إلى (مرسيليا) منذ ستة اسابيع واستاجرا سيارة من طراز (الليموزين) ليستعملاها في تنقلاتهما واسفارهما ، وكانا قبل ذلك يقيمان في استراليا ، وقد امضيا فيها بضعة اعوام لم يزورا في خلالها اوروبا .

وقد كتب مسيو "براجواف" إلى مدير حديقة الحيوان ينبئه بقدومه ، ويخطره بانه اتى معه بمخلوق عجيب من نوع نادر مجهول يتعذر على المرء ان يقرر إن كان إنسانا او حيوانا .

«ويعتقد مسيو "براجواف" الذي يعد من كبار علماء الآثار القديمة ان هذا المخلوق هو القرد المنقرض .. او بعبارة اخرى «الإنسان القرد» الذي تتحدث الأساطير عن وجوده دون ان يقوم على ذلك برهان علمي قاطع . !

وهذا الحيوان ذكي دقيق الملاحظة ، وكان يقوم بخدمة مولاه في اثناء إقامته في استراليا ، كما اعتاد ان ينظف سيارته ، بل لقد حاول ان يتعلم قيادتها .

«والسؤال الآن هو : اين مسيو ومدام "براجواف" . ؟ لقد غادر (مارسيليا) ولكنهما لم يصلا إلى باريس بعد ، واين هذا المخلوق العجيب الذي بين الإنسان والحيوان ، إذ من الثابت انهما جاءا به معهما .

هذا وسنوافي القراء بما تسفر عنه ابحاث البوليس في هذا الصدد.»

ولكن الجواب على هذا السؤال اصبح هينا بعد الخطاب الذي اذاعه

"ارسين لوبين" فالقاتل والمخلوق العجيب واحد ، ام ينبغي ان نقول حيوانا واحدا ، .. ؟ ولو انك ذهبت إلى حديقة الحيوان في باريس لرايت الوحش قابعا في أحد الاقفاص وقد لقبوه «بالنجمة» نسبة إلى زجاجة الشراب التي من طراز النجمة والتي كان احتساؤه لها سببا في هذه الفاجعة .

وهو في الواقع قرد ، ولكن له من خلق الإنسان وطباعه الغدر والخيانة والقسوة والكسل والشره وحب المشاكسة .

وهكذا اصاب "لوبين" في استنتاجاته .. إن تصرفات القاتل تنطوي على وحشية وبلاهة وقلة تبصر .. تصرفات حمقاء قاسية لا يمكن ان تصدر عن إنسان عاقل .. وهو بعد لا يمكن ان يكون إنسانا ، إذ امتاز بتلك القوة الجبارة التي مكنته من ان يحمل الحجر الهائل مسافة كبيرة على حين لا يقوى على حمله اقل من .. ستة رجال فهو إذن وحش افلت من عقاله وافقده الشراب الصواب .

لقد اضاف "لوبين" بإماطته اللثام عن هذا اللغز مجداً إلى مجده السابق ، مجداً اقرت به جميع الصحف بلا استثناء ، واعترف به كل إنسان عدا .. عدا "جانيمار" و"بيشو" . !

والصداقة بين "جانيمار" و"بيشو" من ناحية و"ارسين لوبين" من ناحية اخرى مضرب الأمثال . !

الفصل الخامس

"جيدو ماسكيه" اسم اقترن بغرابة الأطوار ، وشذوذ الطباع ، والإقدام على أعمال لا يمكن أن توصف إلا بالحماقة وسوء التصرف .

فمن ذلك أنه انطلق مرة بسيارته في شوارع الحي اللاتيني بسرعة لا تقل عن حوالي ٦٦ كم .. وهي غاصة بالسابلة .. مزدحمة بالخلق .. فبتر سيقان اثنين من المارة .. وهشم مصباحا وعربة .. وسيارته .. !

ودافع عن نفسه بانه كان ثملا .. ولكن لم تكن هناك ريبة في انه كان صاحيا مستفيقا حين انتشلوه من تحت حطام السيارة سليما معافى فلم يغن هذا الدفاع عنه شيئا .

وعلى الرغم من تضارب التقارير الطبية حكم عليه بالسجن قاض عنيد قاسي الفؤاد .. ورفع "جيدو ماسكيه" استئنافا عن الحكم .. ومثل امام محكمة الاستئناف ينصره نفر من اكبر المحامين .. فاستطاعوا بالبلاغة والمنطق .. والتهويش ايضا .. ان يلغوا الحكم الابتدائي ويظفروا بالبراءة .

وانتصر "جيدو ماسكيه" . وهناه الناس .. وقد نسوا انه ازهق ارواحا .

وتعرف البيئة المسرحية بانه نصير الممثلين .. والممثلات بنوع خاص .. وقد اعتاد ان يقيم لابناء المسرح وبناته مادب متعددة في شتى المناسبات تسهب الصحف في وصفها والإشارة بالداعي إليها ..

ولكن المطلعين على بواطن الأمور يؤكدون لك انه اعتاد ان يقيم مادب اخرى لا تشير إليها الصحف بكلمة واحدة .. مادب لا يدري احد عنها شيئا .. مادب لا تدعى إليها غير ممثلة واحدة .. ! ويقال : إن هناك ظاهرة عجيبة تحدث في جميع هذه المادب السرية .. وتلك الظاهرة هي أن يصاب جهاز الإضاءة بالعطب .. فإذا بالانوار تنطفئ فجاة .. ويظل الداعي وصاحبته في الظلام .. !

وفي إحدى الليالي وقعت ماساة كان "جيدو ماسكيه" بطلها .

لقد كتم البوليس الفرنسي تفاصيل الحادث عن الصحف والناس ، ولكنه لم يستطع أن يكتم نبا مصرع الراقصة الحسناء التي وجدت

صريعة على الإفريز امام احد الفنادق .. إذ يؤكدون للصحف ان الراقصة اخطات .. فحسبت ان النافذة الكبيرة المصنوعة على الطراز الفرنسي بابا مفضيا إلى غرفة اخرى ، «ودخلت» فهوت إلى الإفريز . !

ولكن الشيء الغريب أن أحداً من المحققين لم يكلف خاطره بان يطرح هذا السؤال : وكيف تخطت الفتاة سياج النافذة . ! ؟ وربما ظنت النافذة بابا ، ولكن كيف لم يردها السياج القائم في طريقها إلى الصواب . ؟

سؤال واضح .. سؤال بديهي .. كان ينبغي أن يطوف بخاطر المحققين .. ولكنهم غفلوا عنه .. غفلوا عنه إكراما لخاطر «جيدو ماسكيه» . !

غير أن "آرسين لوبين" لم يغفل . !

كان "آرسين لوبين" نازلا في نفس الفندق .. فشهد الحادث بنفسه قبل ان يطالع تفصيلاته في الصحف .

وبطبيعة الحال لم يكن "لوبين" نازلا في الفندق تحت اسمه الحقيقي..

كان ينتحل اسما آخر يستحيل على "جانيمار" و"بيشو" أن يكشفا حقيقته.

وحفظ التحقيق بعد بضع ساعات . ونسي "جيدو ماسكيه" انه كان السبب في هلاك هذه الراقصة الحسناء .. بل لقد نسي كل شيء عن الحادث ، ولم يعد يذكره إلا كما يذكر الإنسان حلما بعيداً مضطربا .

غير أن "لوبين" لم ينس .

ورجع "جيدو" إلى إقامة مادبه وحفلاته لبنات المسرح وابنائه ورجع إلى لهوه ولعبه .. ورجع إلى حياة العربدة التي الفها .

وعلى مضض سكت الناس عن سيئاته واغضوا .. وكثيراً ما يغضي الناس عن سيئات أصحاب الملايين .. ولقد كان "جيدو" من اصحاب الملايين .

* * *

في صباح يوم من ايام شهر نوفمبر حمل الخادم إلى "جيدو ماسكيه" طعام الفطور على صينية مطعمة بالذهب ، وضعها على

منضدة صغيرة إلى جانب الفراش .

وكان فوق الصينية خطاب يحمل طابع لندن .. وفي ركن منه هذه الجملة :

«خاص - لا يجوز فضه بمعرفة السكرتير»

وانتصب "جيدو" جالسا في الفراش .. ورد شعره إلى الوراء ..

وتناول الخطاب فقلبه بين يديه وهو يتثاءب . ثم ادناه من فمه يشمه ، خطاب خاص . ؟ ولا يجوز فضه بمعرفة السكرتير . ؟ إنه إذن من امراة ..

امراة تحرص على الا يطلع على سرها المفضوح سكرتير "جيدو" . !

ولكن الخطاب لم يكن معطراً . ! ولم يكن من امراة . !

لم يكن في داخل الغلاف إلا قطعة صغيرة من الورق كتبت عليها بضعة سطور بالآلة الكاتبة .

وكان هذا نصه : -

"في يوم ١٨ اكتوبر ذهبت إلى (ليون) ونزلت في فندق «بارسيل» وكان في رفقتك جماعة من الأصدقاء . وكان مع هذه الجماعة راقصة فرنسية في عنفوان شبابها لم تكن على علم بما طبعت عليه من خلق اثيم .

وقد اضطرت المسكينة ان تنتحر فراراً منك . فراراً من مغازلاتك الأثيمة المجرمة . ! لقد القت بنفسها من نافذة الفندق فبلغت الأرض جثة هامدة . ! واغلب ظني انك حاولت الاعتداء عليها او تقبيلها كرها فرمت بنفسها إلى الطريق وآثرت الموت .

لو كان في هذه الدنيا إنصاف حقيقي لأرسلك القضاة إلى المشنقة ولكنهم تستروا عليك وتكتموا امرك لأنك من اصحاب الملايين .

ولكني لن اتستر عليك .. ! فاحذر ان اقوم مقام العدالة . !

"اتعرفني . ؟ يحتمل الا تكون قد سمعت باسمي إلا عرضا فإن حياة اللهو التي تنغمس فيها تكاد تجعلك معتزلا العالم .

إنني ادعى "ارسين لوبين" .. ومهمتي في هذه الدنيا الانتقام ممن يفلتون من العدالة .. إني شخص يتلافى النقص الذي يتردى فيه الناس وإدارة البوليس السري تبحث عني منذ سنوات . ولو انك اتصلت بصديقي "جانيمار" او "بيتشو" لحدثاك عني طويلا . فسلهما

إذا شئت .

إنك رجل غني واسع الثراء . وكان ينبغي ان تعوض اهل الفتاة التي كنت انت سببا في مصرعها . إن لها اما مريضة في حاجة إلى من يعولها . ولها اخ صغير في حاجة إلى من ينفق على تعليمه . ولهذا ارجو ان ترسل إلى الأم شيكا بخمسين الف فرنك وشيكا آخر بـ مائتي الف فرنك تبرعا منك لجمعية إعانة الممثلين والممثلات .

سامهلك شهراً لتدفع ربع المليون فرنك تكفيراً عن جرمك .

وإلا .. فالويل لك مني .. من قتل يقتل فاحذر . !

«ارسين لوبين»

ولم يكن في الخطاب شيء اكثر من هذا .

قراه "جيدو ماسكيه" مرة بعد مرة دون ان يقف على سر جديد .

لم تكن هذه اول مرة سمع فيها اسم "ارسين لوبين" ولكنه لم يكن يعرف عنه إلا النذر اليسير . لص بارع حير رجال البوليس . ! وهذا كل شيء . وإنه ينطبق على كثير من اللصوص .

ربع مليون فرنك . ! إن هذا اللص مخبول بلا ريب . او لعلها مزحة مازح خفيف الروح .

وقال "جيدو ماسكيه" متسائلا :

- ولكن من يكون ارسين لوبين" هذا . ؟

وكان خادمه خبيرا بمثل هذه الشؤون فاجاب في إيجاز :

- إن "ارسين لوبين" يا سيدي شيطان . !

- شيطان .. ! ؟

- نعم شيطان .. إنه .. إنه .. ؟ إنه شيطان !

ولم ير خيراً من هذه الكلمة للتعبير عما يجول في ذهنه .. !

وضحك "جيدو" وقال :

- إني لا اخاف الشياطين لأني لا اومن بوجودها .. !

- ولكن "ارسين لوبين" يا سيدي شيطان من نوع آخر .. !

- ولو .. !

والقى "جيدو ماسكيه" نظرة فاحصة على الخطاب وغلافه ثم هز كتفيه بلا احتفال وهم بان يمزقهما ويقذف بهما إلى سلة المهملات

لولا ان طرا خاطر بذهنه .

- لم لا اخطر إدارة البوليس بالامر .. ! ؟

وامر سكرتيره بإرسال الخطاب إلى إدارة البوليس .

وكان "جيدو" خليقا بان ينسى هذا الخطاب العجيب لولا انه وجد في انتظاره عند عودته إلى داره كهلا ذا ملامح قاسية وعينين تتوقدان ذكاء ورفع الكهل قبعته يحي المليونير الشاب وقال :

- إنني "جانيمار" .. كبير مفتشي البوليس السري .

- اهلا بك يا مسيو "جانيمار" .. اجئت تزورني بسبب هذا الخطاب؟ إنه مزحة مازح فيما اظن . ؟ إنك دون شك لا تعلق على الامر اية اهمية . ؟

فهز "جانيمار" راسه وقال في تؤدة :

- بل إني اعلق عليه اكبر الاهمية . !

- ماذا تقول . ؟

- اقول : إني رصدت اثنين من خيرة رجالي للسهر على حياتك وحراستك .

فحملق إليه "جيدو" ماسكيه" في إنكار وقال :

- اتتكلم جادا . ؟ إذن فقد كان خادمي على حق . ! قال لي خادمي : إن هذا المدعو "ارسين لوبين" شيطان رجيم . !

فهز "جانيمار" راسه هزة الخبير العارف وقال :

- إنه اكثر من شيطان . !

- لقد لاحظ ان الخطاب يحمل طابع لندن فهل ..

فقال "جانيمار" مقاطعا :

- نعم .. إن "ارسين لوبين" في لندن الآن .

- ولكنه لن يجرؤ على الحضور إلى فرنسا . !

- إنه يجرؤ على كل شيء . ! في وسعه حين يشاء ان يدخل إدارة الامن العام ويجلس إلى مكتب المدير دون ان يعتريه الخوف .

- ولكن كيف هذا . ؟ الا يقيم وزنا لرجال البوليس . ؟ الا يقيم وزنا لك .. ؟

فهز "جانيمار" راسه في حزن وقال :

- إن "ارسين لوبين" هو اللص الوحيد الذي لا يقيم لي وزنا . !

- ولكن كيف تصبر عليه ؟ لماذا لا تقبض عليه . ؟

- لماذا لا اقبض عليه . ؟ إنها يا سيدي حكاية يطول شرحها .. اهون عندي ان اقبض على الشيطان من ان اقبض على "لوبين" .. !

- هذا عجيب .. !

ومضى "جانيمار" يقص على "جيدو ماسكيه" بعض حوادث "لوبين" الاخيرة . فلما فرغ من حديثه كان القلق قد استولى على المليونير وعراه الانزعاج .

وقال في صوت يتهدج اضطرابا :

- إنه شيطان .. ! وقاتل ايضا . !

فقال "جانيمار" مقاطعا :

- ربما كان قاتلا وربما لم يكن . عهدي بـ"ارسين لوبين" انه لا يسفك دما .. وإذا كانت قد وقعت جرائم قتل في بعض الحوادث المتصلة به فإن رجال عصابته هم الذين ارتكبوها بلا نزاع .. ولست اشك في انه غضب عليهم واقصاهم .. ومن النادر ان يرتكب "لوبين" جريمة قتل .. إلا إذا كانت العدالة قد افلتت مجرما يستحق ان يشنق .. فإنه في هذه الحالة يتولى حكم العدالة . !

فقال "جيدو" في انزعاج :

- وهل اقامته العدالة ممثلا لها . ! إنه يعد قاتلا على اي الاحوال .

فقال "جانيمار" مؤيدا :

- بالتاكيد .. بالتاكيد .. ولكني لا اكتم عنك اني في مثل هذه الاحوال اقر "لوبين" على ما فعل ولا تاخذني رحمة بالقتيل . !

فهتف "جيدو ماسكيه" :

- إنك من رجال البوليس يا سيدي فكيف تقول هذا . ! اولى بك بدل ان تؤيد هذا اللص وتدافع عن اعماله ، ان تعنى باعتقاله . ! هذه فضيحة صارخة . ! إني ما سمعت في حياتي شيئا من هذا القبيل . !

وتناول "جيدو" الرسالة وبسطها اما م عيني "جانيمار" وقال :

- وما معنى هذه الجملة يا سيدي .. ؟ « من قتل يقتل فاحذر . ! »

- معناها جلي لا يحتاج إلى تفسير . !

- ولكن .. ولكن حادثة (ليون) وقعت قضاء وقدرا .. لقد اخطات الفتاة المنكودة الحظ فحسبت النافذة بابا فهوت إلى قارعة الطريق .

فقال "جانيمار" في هدوء :

- إني اعرف كل شيء عن هذا الحادث يا .. مسيو "ماسكيه" ، وارى من الخير..من الخير لك الا تسالني في هذا الموضوع . !

وكانت في لهجته نبرة ذات مغزى . !

ثم اردف يقول :

- ولكن دعني أصارحك برايي في الرسالة التي جاءتك .. ليس بين رجال البوليس من هو اعلم مني بـ"ارسين لوبين" .. ولذلك اعتقد اعتقادا جازما انه سيبر بوعده . ! اعني سينفذ تهديده . ! إن "ارسين لوبين" هو اللص الوحيد الذي لا يخلف كلمته ..

- واين البوليس إذن .. ! اين الاحتياطات التي ينبغي ان تتخذها بصفتك كبير مفتشي البوليس السري ! ؟

فقال "جانيمار" في هدوء :

- ساتخذ يا سيدي جميع الاحتياطات بطبيعة الحال ، ولكن ليست هذه اول مرة اتخذت فيها الاحتياطات ضد "لوبين" .. إنه متوقد الذهن حاد الذكاء ، عظيم الدهاء . !

- اتعترف بعجزك ؟ !!

- وما حيلة الإنسان امام الشيطان ؟ . !

- سيدي .. إنك ..

- إن "لوبين" يا سيدي ابرع من عرفت في التنكر .. يمكنك ان تسميه الرجل ذا المائة وجه .. لقد تسنى لي ان ارى وجهه مرة واحدة بلا تنكر .. ولكن ما الفائدة وهو لا يكاد يخرج إلا متنكرا . ! ربما غادرتك الآن فجاءك "لوبين" نفسه متنكرا على صورتي .. !

- وما العمل الآن .. ؟

- لقد عملت كل ما في وسعي فاقمت على حراستك اثنين من خيرة رجالي .. وهذا كل ما يسعني .. فارجو ان تخطر رجالي بانتقالاتك .

- ولكن .. ولكنني قد أسافر إلى برلين.

فقال "جانيمار" في هدوء :

- إذا سافرت إلى برلين فلن اكون مسؤولا عن حياتك .

وتهالك "جيدو ماسكيه" على المقعد وقد امتقع وجهه .

* * *

في بداية الامر نظر "جيدو" إلى الحادث نظرة الهزء والاستخفاف .

ولكن الأيام اخذت تتتابع وهو لا ينفك يرى الشرطي السري جالسا بباب الدار او مستويا إلى جوار سائق السيارة .. فاثر ذلك في اعصابه وذكره بالخطر الذي يتهدده . وما ان انقضى الشهر الذي ضربه "لوبين" موعدا لانتقامه حتى كان المسكين انتهى إلى ان يكون حطاما مضعضعا .

وأخيرا جاءه المفتش "جانيمار" يحمل إليه النبا البغيض :

- لقد رجع "ارسين لوبين" إلى فرنسا . ؟ !

فامتقع وجه المسكين وقال :

- رجع إلى فرنسا . ؟ ! وكيف .. وكيف عرفت ذلك .. ؟

ولكن "جانيمار" لم يجب عن هذا السؤال .. لم يكن مستعدا للإجابة وإلا لاضطر ان يكاشف "جيدو" بان لإدارة الأمن العام عيونا من اللصوص انفسهم يرقبون زملاءهم ويتجسسون عليهم ثم يحملون انباءهم إلى البوليس سرا .

لو ان "جانيمار" اجاب عن هذا السؤال لاضطر ان يكاشف "جيدو ماسكيه" بان الذي اتاه بالنبا نشال يدعى "نوزيه" اعتاد ان يؤدي مثل هذه الخدمات لـ"جانيمار" .. ولاضطر ايضا ان يكاشفه بما ابدى ذو اللحية الحمراء من سلوك مريب يدعو إلى الظن بانه "ارسين لوبين" متنكرا .

وكانت هناك بعض الشائعات تحوم حول "نوزيه" والخدمات التي يؤديها ، ولكن "نوزيه" كان لا يفتا يقسم لزملائه انه بريء وانه ما ارتكب شراً في حياته ولا خان احدا .

ويقيم "نوزيه" في غرفة صغيرة في شارع (كلوريه) .. غرفة قذرة لا تكاد تدخلها الشمس ولا يضرب الهواء في جنباتها . والمعروف عنه انه ليس بارعا في النشل ، ولذلك لم يستغرب احد أن يكون على عهد الناس به قذر الثياب قديمها ما دام لا يربح من مهنته إلا النزر

اليسير.

وفي ذات مساء مضى "نوزيه" إلى مخفر البوليس القريب من داره متسترا بالظلام وقابل المفتش "استوريه" الذي كان قد ارسل يستدعيه.

وقال "نوزيه" مفضيا بما لديه من معلومات :

– سيقع سطو في الغد على حانوت الجوهري "لويس" .. وسيقوم بهذه «اللعبة» اللص الإنجليزي " نوتينج ريل" .. وسيبيع المسروقات اليهودي "الفوس" .. امن اجل هذا ارسلت إلي يا مسيو "استوريه" .. ؟

وكان "نوزيه" واقفا يدير قبعته بين اصابعه في شيء من الارتباك .

ولم تكن هذه اول مرة قابل فيها "استوريه" مرشدي البوليس . ولكنه كان يعرف ان نوزيه" خيرهم وابرعهم .

ودون ان يرفع راسه قال يجيبه في غلظة وجفاء :

– انتظر هنا .

ثم انتقل إلى الغرفة المجاورة واوصد الباب خلفه .

وفي الغرفة المجاورة كان "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري جالسا إلى المكتب وبين شفتيه سيجارة يدخنها ، وقال المفتش "استوريه" :

– لقد جاء الرجل الذي حدثتك عنه يا سيدي .. "نوزيه" .. إنه ابرع مرشدي البوليس ويمكنك ان تركن إليه .. ولكنه جبان لا يحب ان يستهدف للخطر فلا تجعله يفهم ان العمل الذي سنسنده إليه ينطوي على شيء من الخطر .

نحى "جانيمار" السيجارة عن فمه وقال :

– ايعرف يا ترى السبب في استدعائه . ؟

فابتسم "استوريه" وقال :

– لا .. لقد اوقعت في روعه اني استدعيته لاطرح عليه بعض الاسئلة عن السطو على حانوت جوهري ، وإن كنا في الواقع على علم بجميع التفاصيل من مرشد آخر .

– ائتني به .

ودخل "نوزيه" إلى الغرفة الثانية وهو قلق مضطرب وجعل ينقل بصره في حيرة وارتباك بين الرجلين .

وقال في صوت رقيق النبرات :

– نعم يا سيدي .. ؟

فقال "استوريه" :

– هذا هو مسيو "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري .

واحنى "نوزيه" راسه وقد ازداد وجهه امتقاعا وقال في صوت متهدج :

– لقد سمعت باسمك يا سيدي كثيراً .. إنك المفتش الذي اقتنص "ارسين لوبين" .

فقطب "جانيمار" جبينه وقال :

– الواقع انني لم اقتنصه .. ولكنك انت الذي ستقتنصه .. !

– انا يا سيدي ؟ !

وجعل "نوزيه" يحملق إلى وجه "جانيمار" وقد اتسعت عيناه دهشة وفغر فاه استغرابا حتى صارت هيئته مدعاة إلى الضحك كانه ممثل هزلي .

ولما تمالك روعه غمغم يقول :

– اتريد ان تعهد إلي يا سيدي بمهمة جديدة . ؟ إني رهن إشارتك إن بي ميلا طبيعيا إلى المراقبة وترصد حركات اللصوص . ولست اكتم عنك يا سيدي إنني كنت اتمنى ان اكون شرطيا سريا . لو اني احترفت هذه المهنة لافلحت . وما يدريني اني كنت جديراً بان اصبح كبيرا لمفتشي البوليس السري . ! ولست اعني بذلك يا سيدي اني اضاهيك ذكاء ودهاء .. ولكني .. ولكني

ولم يجد كلمة يصلح بها غلطته فسكت .

وقال "جانيمار" :

– لقد ارسل "ارسين لوبين" خطاب تهديد إلى المليونير "جيدو ماسكيه" ولهذا اريد منك ان تراقبه .

– وكيف اراقبه يا سيدي وقد سمعت انه في انجلترا ؟

– لقد رجع .

– رجع . ؟

– نعم .. او بعبارة اخرى إننا نرتاب في احد القادمين ويغلب على

ظننا انه "لوبين" . ولذلك ساعهد إليك بمراقبته حتى استوثق من الحقيقة .

وبعد ربع الساعة تم الاتفاق على ان يتولى "نوزيه" مراقبة ذي اللحية الحمراء الذي حضر من انجلترا في اليوم السابق .

* * *

جاء ذو اللحية الحمراء من انجلترا في الدرجة الثالثة .. وكان جواز سفره محررا باسم "تينيت" .. وذكر امام مهنته انه مهندس كهربائي ولكنه على الرغم من مظاهر الفقر البادية عليه فإنه استاجر مسكنا فخما (وإن كان صغيرا) في ميدان (ليتوال) .

وفي ذات يوم ذهب ذو اللحية الحمراء إلى زيارة "جيدو ماسكيه" .

اثارت هذه الزيارة شكوك "جانيمار" .. إنه يرتاب في ان ذا اللحية الحمراء هو "ارسين لوبين" .. فإذا ما جاء لزيارة "جيدو" فمعنى ذلك انه لابد ان يكون "لوبين" . ومما ضاعف .. شكوكه ان ذا اللحية الحمراء شوهد في اليوم التالي يحوم حول البيت ويراقبه من الناحية الخلفية .

واستفسر "جانيمار" من "جيدو" عن سبب تلك الزيارة التي قام بها ذو اللحية الحمراء فعلم انه جاء ليتحدث إليه بخصوص مشروع استنباط القوة الكهربائية من بعض الأنهار في بلاد لهند .

ولم يكن اهون عند "جانيمار" من ان يلقي القبض على ذي اللحية الحمراء ويضيق عليه الخناق ويتحقق من شخصيته . ولقد هم "جانيمار" بان يقدم على هذا فعلا ، لولا ان ذكر حملات الصحف عليه حين قبض منذ اشهر قليلة على ثلاثة من الأبرياء ارتاب في انهم من عصابة "لوبين" .. لقد حملت الصحف إذ ذاك حملة منكرة على البوليس ونظم البوليس .. وذكرت ان إلقاء القبض على الابرياء يعد فضيحة صارخة لنظام التحقيق في فرنسا وتراجع "جانيمار" امام هذه الحملة ولم يجرؤ على اعتقال ذي اللحية الحمراء ، إذ كيف يبرر موقفه لو ظهر انه بريء لا شان له بـ"لوبين" . !

تعقب المراقبون ذا اللحية الحمراء .. ولكنه كان بارعا في التخلص من امثال هذه المطاردات .. وكم من مرة وثب من سيارة التاكسي اثناء

سيرها وقفز إلى سواها فضلل مطارديه .!

وقال "نوزيه" :

- ولكني لا اعتقد يا سيدي ان هذا الرجل هو "ارسين لوبين" . !

- ولماذا . ؟

- إنه ملتح .. وعهدي بـ"لوبين" انه حليق اللحية . !!!

فصاح "جانيمار" مزمجراً :

- تبا لك . ! الا يستطيع ان ينمي لحيته . ! الا يستطيع ان يضع لحية مستعارة . ! راقبه واحمل إلي انباءه . ! إن رجال البوليس لا يستطيعون السطو سرا على مسكنه .. اما انت .. فتستطيع .. تسلل إذن إلى مسكنه وافحص اوراقه فقد تجد بينها ما يرشدنا إلى الحقيقة

ولكن اسمع .. ليس معنى هذا اني عهدت إليك بالسطو على مسكنه .

كلا .. إني شرطي وواجبي يقضي علي بان اكون عدواً للساطين لا نصيراً لهم مهما تكن الأسباب .. كل ما هنالك اني اريد منك ان تؤدي واجبك على الوجه الا كمل .. ولكني لست مسؤولا عن شيء .

فاحنى "نوزيه" راسه دلالة على الفهم .

وبعد ثلاثة ايام حمل "نوزيه" إلى المفتش "جانيمار" تقريرا متضمنا تفصيلات ذات شان .. لقد ذهب (تينيت) إلى المطار وتحدث في شان استئجار طائرة خاصة ذات مقعد واحد ليسافر بها إلى انجلترا ثم امضى وقتا طويلا في إحدى شركات الكهرباء في الناحية الشرقية من باريس . وبعد ذلك اشترى عدة اشياء لا يعلم "نوزيه" كنهها ومضى بها إلى داره .

وراى "جانيمار" ان يستشير مدير الأمن العام في الأمر .

وقال المدير :

- يمكنك ان تستصدر امرا بتفتيش مسكنه .

- فتشنا مسكنه .. ولكننا لم نعثر فيه على ما يثير الريبة .

وفي تلك الليلة ذهب "جانيمار" يزور "جيدو ماسكيه" .

والفى المليونير على حال سيئة ، لقد حطمته الثلاثة اشهر الماضية وهدمت اعصابه .. لقد احالته حطاما باليا .

وقال المليونير في صوت مضطرب حين دخل عليه "جانيمار" :

- الديك انباء جديدة . ؟ هل استطاع جاسوسكم "نوزيه" ان يكتشف شيئا.؟

إن "نوزيه" متوقد الذكاء يا مسيو "جانيمار" واولى به أن يكون من رجال البوليس .. كنت اتحدث إليه بالامس فادهشني بذكائه . لقد رايته واقفا عند الباب مع احد رجالك . ولكن اسمع يا مسيو "جانيمار" دعني اقص عليك حكاية الراقصة .. اقسم لك انها انتحرت وانه لم تكن لي يد في ..

فقاطعه "جانيمار" بقوله :

- قلت إني اوثر الا اطرق هذا الموضوع . !

وسكت "جيدو ماسكيه" .

* * *

ما كاد "جانيمار" يغادر قصر المليونير حتى وقفت بالباب سيارة هبط منها "نوزيه" مسرعا وهو بادي القلق والاضطراب . واقبل على الشرطي السري الذي اقيم عند الباب لمراقبة الداخلين والخارجين وقال له :

- اين مسيو "جانيمار" ؟ لقد اختفى ذو اللحية الحمراء . لقد غادر مسكنه . وحلق لحيته ايضا . ولم اعرفه عند خروجه . ولم افطن للامر إلا بعد ان تمكن من الهرب .. ! اين المفتش يا سرجنت "كونيه" . ؟

فاجابه "كونيه" وقد بدا عليه الانزعاج :

- لقد انصرف المفتش .

ودخل "كونيه" إلى البيت يتبعه "نوزيه" وسار بهما الخادم إلى الطابق الثاني وارشد البوليس السري إلى غرفة المواصلة التليفونية المجاورة لقاعة الطعام .

وانهمك "كونيه " في الحديث التليفوني على حين وقف "نوزيه" في انتظاره في البهو .

فتح باب المخدع وبرز "جيدو ماسكيه" على عتبته فلما راى "نوزيه" قال يساله:

- ماذا جرى . ؟

- إنه يتحدث إلى رئيسه . لقد وقع حادث خطير .

- حادث خطير ؟ ! تكلم

فادار "نوزيه" راسه فيما حواليه وقال :

- اخشى أن يسمعنا احد من الخدم . !

- تعال معي إذن إلى مكتبي .

وامضى "نوزيه" في مكتب المليونير خمس دقائق وحين خرج اوصد الباب خلفه ووقف ينتظر "كونيه" في البهو .

ولما فرغ السرجنت من حديثه التليفوني قال يخاطب "نوزيه" ..

- اطمئن .. فقد قبضوا على ذي اللحية الحمراء . كان "جانيمار" قد اتخذ الحيطة فعهد إلى احد زملائي بمراقبته .

فقال "نوزيه" في شيء من الغضب :

- كيف هذا .. ! الا تثقون بي . ! اتعهدون إلي بمراقبته وفي الوقت ذاته تسندون نفس هذه المهمة إلى احد رجالكم . ! هذه خيانة . هذه خدعة غير لائقة.!

فابتسم السرجنت "كونيه" وقال :

- لولا هذه الخدعة لافلت منا ذو اللحية الحمراء . ولما .. سلمت من غضب الرئيس .. هيا أسرع إلى إدارة البوليس فإنه في حاجة إليك .

وفي ذلك الوقت جيء بذي اللحية الحمراء إلى مكتب "جانيمار" ...

وكان ثائرا غاضبا لا ينفك لحظة واحدة عن الاحتجاج على اعتقاله بلا سبب.

وجعل يقول :

- ما معنى هذا .. ! لاي سبب القيتم القبض علي . ! افي هذه البلاد قانون يحرم على الناس حلق لحاهم . ! نعم .. لقد حلقت لحيتي لانني لم اعد راغبا فيها .. ماذا تقول . ؟ لحية مستعارة .. ! هذا ادعاء كاذب يا سيدي .. ! إنها لحية حقيقية . !

- ولماذا تركت مسكنك . ؟

- تركت مسكني لاني كنت معتزما السفر .

- إلى اين .. ؟

- إلى هولاند لاقابل ممولا وعد بان يمدني بالمال اللازم لتنفيذ مشروعي الخاص باستنباط القوة الكهربائية من مساقط المياه في بلاد الهند .

وقاطعه "جانيمار" بقوله :

- لحظة واحدة يا سيدي .. حين جئت إلى فرنسا كانت مظاهر الفقر بادية عليك ، ولكنك ما كدت تهبط باريس حتى تبدلت حالك فاستاجرت مسكنا غاليا وابتعت ثيابا جديدة وكنت لا تكاد تنتقل إلا في سيارات التاكسي ، واصبح لديك من المال ما يكفي للسفر إلى هولاند فهل لك ان تفسر لي السر في هذا التبدل؟

فتردد الرجل هنيهة ثم قال :

- ساكاشفك بالحقيقة يا سيدي .. لا اكتم عنك اني كنت مفلسا حين وصلت إلى باريس ، ولكني التقيت في المحطة برجل ذكر لي انه يهتم بالهندسة الكهربائية من مساقط المياه فابدى اهتماما كبيرا بحديثي .. وهيئة الرجل لا تدل على الثراء ولذلك دهشت حين رايته يخرج من محفظته مائتي جنيه قدمها إلي واشار علي بما ينبغي ان اصنع . فهو الذي نصحني بان استاجر شقة فخمة .. وهو الذي وضع لي برنامجا اسير عليه فذكر لي الجهات التي يجب ان اختلف إليها كل يوم .. ولقد كنت حريصا على لحيتي معجبا بها ، ولكنه طلب إلي بالامس في إلحاح ان احلقها فاضطررت ان انزل عند رغبته ثم نقدني ثلاثمائة جنيه أجر السفر إلى هولاند .

وكان "جانيمار" يصغي إلى هذه القصة بين الإنكار والتصديق ثم قال:

- وهل هذا الرجل هو الذي اشار عليك بزيارة المليونير "جيبوماسكيه"؟

- نعم .

- وهو الذي اشار عليك بان تقف في اليوم التالي على مقربة من البيت .. ؟

- نعم .

- صف لي هذا الرجل .

فقال "تينيت" مجيبا :

- إنه زري الهيئة تدل ثيابه على الفقر ويمتاز بانف كبير أحمر ، وله سن بارزة وبساقه عرج خفيف .

ما سمع "جانيمار" هذه الكلمات حتى انبعث واقفا وهو يصرخ قائلا :

- ماذا تقول .. ؟ انف كبير أحمر .. سن بارزة .. بساقه عرج خفيف..! يا إلهي .. ! إنه هو بعينه .. ! إنه هو بعينه .. !

وخرج من مكتبه وهو يجري واستقل إحدى سيارات التاكسي وامر السائق بان ينطلق به إلى بيت المليونير "جيدو ماسكيه"

ووثب "جانيمار" من السيارة قبل ان تقف وصاح بالسرجنت "كونيه" الذي يتولى حراسة القصر :

- خبرني .. ! هل قابل "نوزيه" مسيو "ماسكيه" .. ؟

فهز السرجنت راسه وقال :

- لا ادري .. ! لقد صعدنا إلى الطابق الثاني وتركته في البهو ريثما اخاطبك في التليفون .

ولم ينتظر "جانيمار" المصعد وإنما ارتقى السلم وثبا حتى إذا بلغ الطابق الثاني قال يسال الخادم :

- اين مسيو "ماسكيه" .. ؟

- في مكتبه يا سيدي .

ولم ينتظر "جانيمار" إذنا بالدخول وإنما دفع الباب ودخل .

وهناك راى "جيدو ماسكيه" .

كان المليونير طريحا على الأرض وهو موثق القياد مكمم الفم .. وكان في حالة إغماء .

وفوق صدره ورقة عليها كلمات كتبت على عجل . وهذا نصها :

صديقي العزيز "جانيمار"

«بلغني انك استات مني اشد الاستياء باحترافي مهنة رجال البوليس حين اماطت اللثام عن لغز غابة (مورج) . اعني حادث القرد السكران الذي فتك بسيده وزوجته .

«وإنك لتعلم يا صديقي "جانيمار" ان لك عندي مكانة كبيرة واني اكره ان اكون سببا في إثارة غضبك . لهذا صح عزمي – نزولا على رغبتك – على ان اكف عن مزاحمة رجال البوليس في مهنتهم وان اعود إلى حرفتي القديمة : اللصوصية .. ! فلعلك راض الآن .. !

ولقد بدات عملي بإنذار مسيو"جيدو ماسكيه" .. ولكنه ابى ان يستمع إلي .. انذرته بان يدفع ربع مليون فرنك فركب راسه ورفض .. ! كان اولى بك يا صديقي أن تنصحه .. !

وعقابا له ضاعفت المبلغ .. ! ارغمته على أن يحرر شيكا بنصف مليون فرنك سارسل منه مائة الف فرنك إلى ام الراقصة المسكينة . وربع مليون فرنك تبرعا لجمعية إعانة الممثلين .. والممثلات .. اما المائتا الف الباقية فساحتفظ بها لنفسي مكافاة على ما تجشمت من تعب .

وعلى فكرة ارجو ان تلجا إلي إذا احتجت إلى شيء من المعلومات عما يجري وراء الستار . فإن «نوزيه» بشهادة الجميع ابرع .. مرشدي البوليس واقدرهم . فإن طاب لك يوما ان تستعين بي فلا تتردد .

إن ذا اللحية الحمراء طاهر الذيل وقد استخدمته في تحقيق اغراضي وهو لا يدري ، فاطلق سراحه ولا تزعجه .

صفق يا صديقي إعجابا بـ"ارسين لوبين" . ! كانت خدعة بارعة . !

بيت المليونير محاصر برجال البوليس ولا سبيل إلى تخطي عتبته فما العمل إذن ؟

الوسيلة الوحيدة هي ان يصبح "لوبين" من مرشدي البوليس حتى يتسنى له دخول قصر المليونير بين سمع البوليس وبصره – بل وتحت

حمايته . ! وهكذا كان . ! فبقليل من التنكر – اصبح "لوبين" ذا انف كبير احمر وسن بارزة وساق بها عرج خفيف . !

«وقبل ان اختم رسالتي اؤكد لك اني على استعداد لان القي عليك درسا في فن التنكر . !

«مرشد البوليس نوزيه»

او

«صديقك المخلص "ارسين لوبين"

الفصل السادس

قال المفتش "بيشو" مخاطبا رئيسه "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري:

- ليس من حقي ولا من شاني يا سيدي ان ابدي .. شيئا من النقد او الاعتراض . ولكني ارجو الا يغضبك مني قولي : إن اساليبك حيال "ارسين لوبين" اصبحت لا تجدي ، وإنك لن تفلح بهذه الوسائل في اقتناصه .. لقد استطاع "لوبين" ان ينقلب عليك مرارا فامتلات نفسك ياسا . والياس كفيل بان يقضي على ما لديك من حسن التدبير والدهاء ولهذا لا اعتقد انك ستنجح في اعتقاله .. لابد من تعديل الخطط البوليسية .. وهذا التعديل لا يمكن ان يتم على يديك انت . ! وإنما ينبغي ان يتم على يدي شرطي اخر لم تقتل حسن تدبيره الهزائم التي مني بها.

واستمع "جانيمار" إلى حديث .مرءوسيه في امتعاض ظاهر ولكنه كظم ما بنفسه ولبث صامتا ... لقد تقدمت به الاعوام ولن يستمر في خدمة الحكومة اكثر من بضعة اشهر ثم يعتزل العمل . وسيخلفه المفتش "بيشو" . فما الداعي إلى إثارة عراك سخيف والأمر بينهما لن يعدو اشهرا . ؟

يعتقد "بيشو" انه اكفا من "جانيمار" . ! فليكن . ! لندعه في غروره ولكني ساهيىء له فرصة يمنى فيها بهزيمة من تلك الهزائم التي ينعيها علي ويعيرني بها !

بهذا حدث "جانيمار" نفسه وهو يستمع إلى نقد "بيشو" اللاذع . ثم رفع صوته قائلا :

- إنك تعلم يا عزيزي "بيشو" انني منحت إجازة قصيرة سامضيها في جنوب فرنسا . وستتولى انت العمل مكاني في اثناء غيبتي . فارجو ان تتاح لك فرصة تجرب خططك البوليسية الجديدة . ! وسانبه على "كانتي" بان يحول إليك جميع الرسائل التي ترد باسمي ... وأرجو

ان يذكرك "لوبين" بإحدى مغامراته حتى ارى كيف تتصرف تصرف الأذكياء . !

وضحك ساخراً ... فقال "بيشو" :

- سوف ترى .. !

وقبل ان يغادر "جانيمار" باريس إلى مصيفه ظهرت الصحف وفيها فقرة تشير إلى ان "جانيمار" منح إجازة قصيرة . وان المفتش "بيشو" تولى العمل مكانه وانه هو الذي سيتابع تحقيق قضايا "ارسين لوبين" التي كانت مناطة بـ"جانيمار" .

وفي صباح اليوم التالي ورد خطاب إلى الأمن العام .

كان الخطاب معنونا باسم «"جانيمار" كبير موظفي البوليس السري» ولم يكن لدى سكرتير "جانيمار" اي شك في ان هذا الخطاب وارد من "ارسين لوبين".

وقال "بيشو" :

- "ارسين لوبين" .. ؟ . كلام فارغ . ! ما الذي يدعوه إلى الكتابة ، اجرت عادته بان يراسل "جانيمار" .. ؟

فض "بيشو" الرسالة وقد علت شفتيه ابتسامة تنطوي على الاحتقار.

وكان هذا نص الخطاب :

في باريس رجل يدعى "بول لامور" .

«ومن الغريب اني لا احب "بول لامور" هذا . ! لقد بدا حياته لصا . ! كان يسرق اجور العمال .. يستخدم الوفا من العمال في مصانعه ولا يمنحهم الأجر الذي يستحقون .. ! اليست هذه لصوصية .. ! الرجل الذي يستنزف دماء العمال هو في رايي اشد اللصوص إجراما.. و"بول لامور" من هذا الطراز .

«وقد اساء إلى صديقة لي .. اساء إليها بلا جريرة اقترفتها فحق عليه القصاص . ولذلك اعتزمت ان اسرقه .

نعم .. انا الواضع اسمي ادناه "ارسين لوبين" اعلن على رؤوس

الأشهاد اني قررت ان اسلب "بول لامور" مليونا من الفرنكات (او ما يعادلها) . وهذا المبلغ هو ثمن قلادة من الماس سيبتاعها "لامور" من الجوهري "كوليه" في ميدان النجمة . فبمجرد انتقال القلادة إلى يد مشتريها ستنتقل إلى يدي . !

«وهذا إنذار مني .. !

«ارسين لوبين»

والتفت "بيشو" إلى من حوله وقال متسائلا :

- من يكون "بول لامور" .. ؟

فمضى مساعده ليقوم بتحرياته وليجمع بعض المعلومات ثم رجع يقول : إنه اطلع على مختلف التقاويم كما قرا الدليل العام دون ان يجد فيها اية إشارة إلى رجل يحمل هذا الاسم .

فهز "بيشو" كتفيه في استخفاف وقال :

- هراء .. ! كلام فارغ .. ! سخافات . . ! لو ان "جانيمار" هنا لاقام الدنيا واقعدها بسبب هذا الخطاب السخيف .. ! اما انا .. !

وطوح بالخطاب في سلة المهملات في ازدراء .

وقال مساعده السرجنت "لافرين" محذراً :

- من عادة "لوبين" يا سيدي أن يعقب على هذه الإنذارات بتسديد «الضربة» التي تكلم عنها دون ان يبالي باحد .

- ربما لم يكن يبالي بـ"جانيمار" ولكني ساعلمه كيف يبالي بي انا .!

وفي مساء تلك الليلة بعينها دخل مساعده وهو منهمك في عمله في مكتبه وابتدره بقوله :

- لقد اهتديت إلى "بول لامور" .. !

واخرج من جيبه صحيفة مسائية واشار إلى فقرة وضع عندها خطا بالقلم الأحمر وقال :

- اقرا هذا النبا .. !

وكان هذا نص الفقرة : -

« منذ اسبوع هبط باريس المليونير الامريكي المعروف "بول لامور"

وقد علمنا انه ابتاع منذ ايام لوحة فنية رائعة تمثل الربيع من ريشة المصور الخالد "رينارد" ليضمها إلى متحفه العظيم . وبلغنا ايضا انه ابتاع نماذج من صور المدرسة الحديثة دفع فيها مائة الف فرنك »

وقطب "بيشو" جبينه وقال :

- اسرع يا "لافرين" إلى الفنادق الكبيرة وتحر عن مستر "بول لامور" وعد إلي باسرع ما يمكن وانبئني في اي فندق نزل .

ولم يكن الاهتداء إلى مقر المليونير الامريكي بالأمر العسير . إذ احتجز لنفسه جناحا في فندق من اكبر فنادق باريس .

على ان الاتصال به كان عسيراً متعذرا .. تحدث إليه "بيشو" تليفونيا فقيل له إن المليونير اوى إلى مخدعه مبكرا وامر بالا يزعجه احد مهما تكن الأسباب . فاسرع "بيشو" إلى الفندق بنفسه عله يستطيع ان يقابل المليونير ولكنه لم يكن اسعد حظا فاضطر إلى ان يرجئ الأمر حتى الصباح .

* * *

استقر راي المفتش "بيشو" على ان يزور المليونير الأمريكي في الصباح ولكنه اثر قبل ان يمضي إلى الفندق ان يعرج على حانوت الجوهري "كوليه" الذي اشار إليه "لوبين" في رسالته .

وكان المدير العام غائبا في رياضة قصيرة فقابل مدير الإدارة .

- مسيو "بول لامور" . ؟ آه .. بالتاكيد .. إننا نعرفه .. ولقد بعنا إليه بعض الجواهر .. والمفاوضات دائرة بيننا الآن بخصوص قلادة الاميرة الروسية "الكسندريف" .. إنه ينوي شراءها .

ثم قطب مدير الإدارة جبينه وقد تسربت الشكوك إلى نفسه وقال :

- ولكن خبرني .. اهناك ما يؤخذ على المليونير الأمريكي . ؟ اهو محتال مدع . ؟

فضحك "بيشو" وقال :

- اوه لا ! .. لا بالتاكيد . ! لا شيء يؤخذ ضده .. إنه من اصحاب الملايين فيما فهمت .. كل ما هناك اني اسعى إلى صيانة مصالحه

وحراسته ولا ضير في ان اكاشفك بالحقيقة إذ لا مفر من هذه المكاشفة اجلا . لقد وصل إلى علمنا ان لصا شهيرا ينوي ان يسرق المليونير .. ولذلك اريد منك إذا ما حان الوقت ان تزودني بكل معونة ممكنة .

اشتد الفضول بمدير المحل .. وود لو استطاع ان يقف على شيء من التفصيلات ، ولكن "بيشو" لم يكن في هذا اليوم ميالا إلى الإفاضة والاسهاب ، فلاذ بالصمت وابى ان يزيد حرفا على ما قال .

ورجع "بيشو" إلى إدارة الامن العام قبل ان يمضي إلى الفندق واطلع على البريد الوارد ، فوجد ان مسيو "بول لامور" قد هون الامور كثيرا ومهد السبيل .. إذ حمل بريد الصباح بطاقة منه مرفقة بخطاب توصية تعلوه في حروف كبيرة مطبوعة هذه الجملة :

«إدارة بوليس نيويورك»

«مكتب المدير العام»

وكان هذا نص خطاب التوصية :

«سيدي العزيز ..

اسمح لي بان اكل إلى عنايتك الساهرة مستر "بول لامور" من اهل هذه المدينة ومن كبار اغنيائها .. إن في نية مستر "لامور" ان يمضي في فرنسا فترة من الزمن .. وقبل رحيله وردت إليه خطابات تهديد من اللص الفرنسي الشهير "ارسين لوبين" .. فلم ار مندوحة من الالتجاء إليكم والاستعانة بكم .

يحتمل ان تكون هذه التهديدات مجرد دعابات لا شان لها ..

ولكني اعرف ان مستر "لامور" لسبب ما قد اتى عملا اثار عداء "لوبين" فلا يبعد إذن ان تكون هذه الإنذارات مستندة إلى اساس .. فهل لك ان تتفضل بإسداء كل معونة ممكنة إلى مواطننا مستر "لامور" . »

«المخلص – سوليفان»

«مدير عام بوليس نيويورك»

اما البطاقة التي ارفقها المليونير بالخطاب فلم تكن اكثر من دعوة موجهة إلى مسيو "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري يدعوه فيها

إلى مقابلته .. وبعد ربع الساعة مثل "بيشو" في حضرة المليونيرالامريكي . !

ومستر "بول لامور" طويل القامة ، وسيم الوجه ، ذو شارب سرى إليه الشيب، ولاحظ "بيشو" ان الامريكي مصاب بعادة عصبية ، هي ان يرفع يده ما بين لحظة واخرى إلى فمه ويجري اصابعه عليه وعلى ذقنه .

– تفضل بالجلوس يا حضرة المفتش ، يسرني كثيرا ان اتعرف إليك ولكن خبرني : من هو "ارسين لوبين" هذا . ؟ إنني لم اقابله مطلقا ، ولكني لا اخشاه..! نعم .. إنني لست خائفا ..

وكان جليا ان الامريكي ولوع بالحديث ، ميال إلى الثرثرة والإسهاب فما يفرغ من جملة إلا انتقل إلى سواها ، و"بيشو" صابر صامت يترقب فرصة يتهيا له فيها سبيل إلى الكلام .

ولم يغب عن "بيشو" ان مسيو "لامور" على علم بالسبب الذي اثار عداء "ارسين لوبين" ، فقد اشار مرة او مرتين في حديثه إلى «هذه الفتاة "فلتشر» ولكنه لم يشا ان يزيد "بيشو" إيضاحا عن «هذه الفتاة فلتشر»..

وقال "بيشو" اخيرا:

– الشيء الوحيد الذي اعرفه هو انه توعد بسرقتك .. لقد قال في رسالته : إنك ستبتاع قلادة ثمنها مليون فرنك ، وانك ..

ففغر الامريكي فمه دهشة وقال :

– يا للسماء . ! قلادة "الكسندريف" . ! ليت شعري كيف عرف اننا اتفقنا على مليون فرنك ثمنا لها . !

ولم يكن "بيشو" على استعداد للإجابة عن هذا السؤال .. فقال دون ان يحير جوابا :

– لصالحك اريد منك ان تسدي إلي هذه الخدمة : في كل مرة تنوي الذهاب إلى حانوت الجوهري "كوليه" اخطرني لارافقك .. وإذا حملت معك مالا ..

فقال الامريكي في لهجة تنطوي على الازدراء :

- احسبتني معتوها . ! اتظن انني احمل في جيبي مليونا من الفرنكات . ؟ سانقده الثمن حوالة مالية على احد البنوك .. ولكن خبرني .. ما رايك في هذه الصورة . ؟

وقضى عشر دقائق يتحدث عن اللوحات الفنية التي ابتاعها في الأيام القليلة الماضية .

ورجع "بيشو" إلى مكتبه في إدارة الأمن العام يعلو الإشراق وجهه .

لقد اخطا "ارسين لوبين" ، واخطا للمرة الأخيرة في حياته . ! نعم اخطا في إقدامه على هذه السرقة في عهد رجل اخر غير "جانيمار" الذي أصبح لا نفع ولا خطر منه . ! اما "بيشو" فسيلقن "لوبين" درسا لا ينسى!

نعم .. لقد مني "جانيمار" بهزائم لا حصر لها على يدي "لوبين" فنضب ذكاؤه وجمدت قريحته ولم يعد لديه من الدهاء ما يتيح له فرصة حسن التدبير ، وهو بعد شيخ طاعن في السن ، ومجالدة "لوبين" في حاجة إلى ذهن جديد ، ذهن مبتكر .

وهذه الصفات كلها متوافرة لدى "بيشو" . ! وسوف يثبت للعالم انه عبقري فذ.. مضت سنوات و"جانيمار" يسعى عبثا إلى اقتناص "لوبين".

اما اليوم فسيظفر به "بيشو" .. وفي غير عناء . !

وجلس إلى مكتبه وهذه الخواطر تحشو راسه .. وكتب خطابا .. مسهبا إلى "جانيمار" ضمنه جميع تفصيلات الحادث الجديد ، واختتمه بقوله :

«وبطبيعة الحال لن ادع شيئا للصدف .. ساتخذ جميع الاحتياطات الممكنة ، وقد وعدني "بول لامور" وعدا قاطعا بانه لن يشتري القلادة إلا في اثناء وجودي»

وقام "بيشو" بزيارة أخرى لحانوت الجوهري "كوليه" وامضى نصف الساعة يتحدث إلى المدير .

- اسمع .. عندما يشتري مسيو "لامور" القلادة ينبغي أن ترسلها

إليه مع مندوبين من قبلك تثق فيهما ثقة عمياء .. لا اريد باي حال من الاحوال ان تتم الصفقة هنا . فقد اتخذت الحيطة الواجبة في الفندق . وساعهد إلى اربعة من اقدر رجالي بمرافقة مندوبيك اثناء ذهابهما إلى الفندق . وإني اوثر أن تحضر انت بنفسك لتتسلم الحوالة المالية التي سيقدمها إليك المليونير الأمريكي . ولك ان تصطحب الشرطة السريين في عودتك لحراستك.

فضحك مدير المحل وقال :

- لا نفع في الحوالة المالية لـ"ارسين لوبين" . !

ثم اردف يقول :

- اتحب ان تلقي نظرة على القلادة التي ينوي مسيو "لامور" شراءها؟

لقد طلبنا ثمنا لها مليونا ومائتي الف فرانك ولكن المناقصات انتهت إلى مليون فرنك .. وهذا الأمريكي عنيد خبير بالأحجار الكريمة، وحسبه نظرة يلقيها على الماسة ليقدر ثمنها تقديرا لا يخطئ وفتح خزانة في غرفة مكتبه واخرج منها علبة رفع غطاءها فإذا فيها قلادة من الماس والزمرد يبهر سناؤها الأبصار .

وقال :

- بعض هذه الأحجار يزن ثمانية قراريط ..

ثم اشار بإصبعه إلى ماسة كبيرة وقال :

- ثمن هذه الماسة لا يمكن ان يقل عن مائة وخمسين الف فرنك والواقع ان ربحنا قليل من هذه الصفقة .. إن مليون فرنك يعد ثمنا بخسا ولكن هذا الأمريكي عنيد ممسك .

* * *

بعد ان رجع "بيشو" إلى إدارة الأمن العام قابل المدير وكاشفه بالإجراءات التي اتخذها للمحافظة على القلادة النفيسة . وقال مستطردا وقد استشعر شيئا من الزهو والفخار :

- إن المسالة في رأيي مسالة إجراءات واحتياطات .. إنني معجب

دون شك باعمال المفتش "جانيمار" واقر الاساليب التي يتبعها ولكني لا اقرها بصفة عامة . فإن فيها ثغرات كان ينبغي اتقاؤها .. إنه يكل الامور في الغالب إلى الصدف . وبذلك ينفسخ مجال الإفلات . ولكني على النقيض منه لم ادع سببا من اسباب الحيطة إلا واتخذته .

فقال المدير العام مؤيدا :

- إنني اشير بالا تتهاون في استخدام الوسائل التي لدى البوليس..

فقال "بيشو" :

- بالتاكيد .. بالتاكيد .. وساضرب حول الفندق حصارا دقيقا .. وسارصد نفرا من الرجال في الدهليز وعلى راس الدرج وفي الابهاء الكبرى. فإذا استطاع "ارسين لوبين" بعد هذا كله ان يفر من هذا النطاق فهو إذن شيطان من الجن لا بشر له عقل كعقولنا .

وكان المدير العام يثق ثقة عمياء في كبير مفتشيه "جانيمار" ويعتقد انه اذكى وابرع شرطي في فرنسا . فإذا كان قد اخفق في اقتناص "لوبين" فمعنى ذلك ان "بيشو" لابد ان يبوء ايضابالخيبة . واصغى المدير في برود إلى حديث "بيشو" فلما سكت قال المدير :

- وهناك نقطة مهمة ينبغي ان تلقي إليها بالا يا حضرة المفتش .. يجب الا يغيب عنك ان من المحتمل ان يكون هناك شريك لـ"ارسين لوبين"، فهو بارع ذكي يعرف كيف يدبر خططه بمهارة .

فابتسم "بيشو" وقال :

- وانا ايضا يا سيدي .. استمتع ببعض الشهرة .

وبلغ من رقة المدير وحسن ادبه انه لم يسال "بيشو" إيضاحا او تفصيلا .. !

وقد صدق "بيشو" حين قال إنه لم يدع شيئا إلى الصدف وإنه اتخذ كل حيطة ممكنة . فقد طلب قائمة باسماء شاغلي الغرف المجاورة للجناح الذي احتجزه المليونير الامريكي لنفسه . وراح يدرس .. شخصية هؤلاء النازلين ويتحرى عنهم . بل لقد تحرى عن جميع نزلاء

الفندق دون استثناء .

وكانت الغرفة الملاصقة لمخدع مسيو "بول لامور" تقطنها سيدة امريكية تدعى مس "جيرث استاسي" حلت بالفندق في نفس اليوم الذي وصل فيه "لامور" ، وهي ذات جسم مديد وقوام شبيه بالرجال . ولا عجب في هذا فقد ذكرت في سجل الفندق انها تحترف مهنة التدريب على الألعاب الرياضية . وقد انبا "لامور" مفتش البوليس السري انه تحدث إلى هذه السيدة اكثر من مرة فالفاها رقيقة الجانب حلوة الحديث . ولا ريب فيها إلا انها شديدة الفزع من حرائق الفنادق وقد عللت ذلك بان حريقا شب في فندق كانت تنزل فيه فلم تنج إلا بشق الانفس بعد ان كادت النيران تلتهمها . فاضطربت اعصابها منذ ذلك اليوم ووقع في روعها انها لن تنزل في فندق إلا اندلعت فيه السنة النيران .

وتحول المفتش "بيشو" إلى احد مساعديه قائلا :

- تعقبها .. إنها في رايي اكثر النازلين في الفندق إثارة للشبهات والريب .

ولكن مطاردتها لم تسفر إلا عن شيء واحد : هو انها توالي الاستماع إلى محاضرات في التربية البدنية والحياة الصحية يلقيها عالم سويدي . ولها في باريس صديقتان اعتادت ان تختلف إلى داريهما لتناول العشاء او للرقص .

ولكن "بيشو" لم يشا ان يغضي عنها .. من الخطر ان يتهاون حتى في اتفه الامور . فما كان منه إلا أن عهد إلى شرطية سرية بان تجعل همها مراقبة هذه المراة الرياضية وتعقب خطواتها . ثم اختار خمسة رجال من اقدر الشرطة السريين واصدر إليهم تعليماته في شان ما ينبغي ان يتبع في شتى الظروف والاحوال . كذلك عهد إلى اربعة من الشرطة بمرافقة الجوهري حين يحضر إلى الفندق حاملا القلادة .

وحين فرغ "بيشو" من اتخاذ هذه الاحتياطات دق جرس التليفون في مكتبه :

- ارجو ان تتكرم بالحضور لمقابلتي .

كان المتحدث مدير محلات الجوهري "كوليه" .

وخف "بيشو" من فوره إلى الحانوت . وقال له مدير الإدارة :

- لقد انتهت المفاوضات الدائرة بيننا وبين مسيو "لامور" . وتم الاتفاق على أن نسلمه القلادة اليوم في الساعة الخامسة بعد الظهر .

وكان هذا هو كل ما يريد "بيشو" معرفته .

وعلى الفور شرع يحرك قطع الشطرنج التي رتبها ونسقها .. امر بتنفيذ الخطة البوليسية التي وضعها لاقتناص عدوه اللدود : انطلق عدد كبير من رجال الشرطة السريين يراقبون محطات الترام ومحطات السكك الحديدية .. وانتشر نفر منهم في أنحاء الفندق .. في الأبهاء .. وعلى رؤوس الدرج .. وفي الدهاليز المختلفة.. وقبيل الساعة الخامسة حين استقل مدير محل الجوهري سيارته ومعه علبة القلادة ركب إلى جواره اربعة من رجال الشرطة السريين المسلحين بالمسدسات .

وعند باب الفندق كان كونستابلان في ثيابهما الرسمية ، وفي دهليز الجناح الخاص بمسيو "بول لامور" يقف شرطيان سريان ساهرين متيقظين .

وكان المفتش "بيشو" جالسا مع المليونير الامريكي حين وصل الكنز النفيس يخفره كل هذا العدد من الشرطة .

وضحك "بول لامور" وقال :

- كاننا في معركة حربية ..

وصاح "بيشو" في لهجة آمرة :

اغلقوا الباب !

ونفذ الأمر على الفور . !

واخرج الجوهري العلبة من جيبه .. وضعها على المنضدة .. ورفع الغطاء .. وتحت الأضواء المنبعثة من المصابيح توهجت القلادة .. وكان لها سنا يخطف الأبصار !

وقال الجوهري :

- إنها صفقة رابحة يا مسيو "لامور" . !لقد ظفرت بكنز عظيم لقاء ثمن بخس .

فهز الأمريكي كتفيه في غير احتفال وقال :

- لست ادري إذا كانت صفقة رابحة لي او لكم . ! ومهما يكن من الامر فسادفع إليكم الثمن الذي اتفقنا عليه . !

واخرج محفظته فتناول منها حوالة مالية مسحوبة على احد البنوك قدمها إلى الجوهري ، ففحصها هذا بعناية ثم دسها في جيبه .

وقال "بيشو" يساله :

- ما الذي تنوي ان تصنعه بهذه القلادة . ؟ بالتاكيد ستودعها خزانة الفندق حتى تحين ساعة رحيلك . ؟

فابتسم مسيو "بول لامور" وقال :

- لدي في غرفتي ما هو أمتن واسلم مائة مرة من خزانة الفندق ، ولا يعرف سره او مكانه سواي .. نعم .. ساودع القلادة مكانا خفيا اتحداك انت ورجالك ان تهتدوا إليه ..

فقطب "بيشو" جبينه وقال :

- الا ترى انه يحسن بك ان ...

فقاطعه المليونير الامريكي بقوله :

- إنني يا صديقي لا اثق بمخلوق . ! لا يعرف هذا المخبا السري سواي وساكتم مكانه عنك وعن رجالك .. ما يدريني ان احد رجالك هو "ارسين لوبين" متنكرا .! لقد قيل له إنه تنكر مرة واستطاع ان يصير مديرا للبوليس .

وابتسم "بيشو" وقال في صوت خافت :

- إيه .. انت وشانك .. وحسبي اني هزمت "ارسين لوبين" وافسدت خطته .. الم يقل إن القلادة بمجرد انتقالها إلى يدك ستنتقل إلى يده ! ومع ذلك فها هي ذي القلادة في يدك دون ان يجرؤ "لوبين" على الظهور لاستلابها.

ثم ضحك واردف يقول في زهو وخيلاء :

- في هذه المرة لقي "لوبين" غريما يعرف كيف يهزمه . !

وحمل "بول لامور" علبة القلادة ودخل إلى مخدعه مسرعا واغلق الباب خلفه .!

وهز "بيشو" راسه وقال :

- إن لهؤلاء الامريكيين طباعا شاذة . !

وكان "بيشو" في حيرة من امره ، لم تكن لديه سلطة كافية تخوله ان يحتم على "لامور" ان يطلعه على المخبا الخفي ، وفي الوقت نفسه شعر بشيء من القلق حين اشار "لامور" إلى انه من المحتمل ان يكون احد الشرطة السريين هو "ارسين لوبين" نفسه متنكرا ! فكيف يلقي بنفسه بين انياب الذئب ! و "لامور" على حق في هذا . ! لقد تنكر "لوبين" مرة على صورة "جانيمار" واستطاع ان يخدع اقرب المقربين إليه . !

وادار "بيشو" بصره في رجاله المحيطين به وجعل يتفحص وجوههم.

كلا .. هذا لا يمكن ان يكون "لوبين" فإنه بعيد الشبه عن الصورة التقريبية التي يعرفها رجال البوليس عن "لوبين" ، وهذا ايضا لا يمكن ان يكون "لوبين" وكذلك هذا الشرطي . واخيرا استقر بصره على "الجوهري" وهو يسائل نفسه عن حقيقة امره . !

وفجاة انتبه "بيشو" من خواطره على صرخة مدوية . !

صرخة منبعثة من الدهليز تلاها وقع اقدام سريعة .

ووثب "بيشو" إلى باب الغرفة وفتحه في حركة سريعة فلمح امراة تجري في الدهليز بكل سرعتها وفي اثرها الشرطيان السريان اللذان يتوليان مراقبة الدهليز .

انعطفت المراة عند ناصية الدهليز وانطلقت تركض صوب السلم .

وارتد "بيشو" ثانية إلى الغرفة على عجل وانقض على باب مخدع "لامور" يحاول ان يفتحه .

واستعصى الباب إذ كان موصداً من الداخل .

طرق "بيشو" الباب فلم يسمع جوابا ، نادى وزعق . ولكن دون

جدوى. ثم نادى وزعق . والامر على ما كان عليه .

فلم يكن منه إلا ان القى بجسده على الباب يدفعه دفعا دون ان يقوى على تحطيمه . وخف إلى نجدته نفر من رجاله . ورموا باجسامهم فوق الباب . فاهتز ثم هوى تحت ثقلهم .

والفوا الغرفة خالية . !

لم يكن فيها اثر للمليونير الامريكي . !

كانت مخدعا كبيراً مزودا ببابين : يفضي احدهما إلى الحمام والثاني إلى الدهليز.

وكان باب الدهليز مفتوحا . !

اختفى "بول لامور" واختفت معه القلادة . !

وكانت نوافذ المخدع موصدة . وكان مستحيلا ان تكون النوافذ هي منفذ الخروج والغرفة واقعة في الطابق الرابع ، والتسلق إليها او الهبوط منها شاق متعذر حتى على القطط والفئران .

وامتقع وجه "بيشو" . لم تكن هناك ريبة في ان شيئا ما قد وقع .

شيء لا يدري كنهه وإن كان يعلم انه سيفضي إلى نتائج لا ترضيه .

خرج "بيشو" مسرعا إلى الدهليز فراى الشرطيين وقد رجعا من المطاردة وهما يقودان امراة تناضلهما وتحاول الفكاك منهما وهي تصرخ وتستنجد .

ولم تكن هذه المراة غير معلمة الرياضة البدنية مس "استاسي" .

وكانت مس "استاسي" بادية الغضب شديدة الهياج مضطربة الأعصاب ، ومرت فترة غير قصيرة قبل ان يهدأ روعها وتسكن نفسها وتستطيع الكلام .

وقال "بيشو" وقد سار بالفتاة إلى قاعة الاستقبال :

- اسمعي يا فتاتي ودعي الإنكار فإنه لن يجديك شيئا .. إنك شريكة لـ"ارسين لوبين" .. اليس كذلك .. لقد سلمك القلادة فهربتها . اين مسيو "بول لامور" ؟ .

وصاحت المراة في صوت متهدج :

- امعتوه انت ؟ !. من هو "ارسين لوبين" . ؟ وعن اية قلادة تتحدث ؟ لقد دق جرس إنذار الحريق فانطلقت هاربة .. ولكني ما كدت اتوسط الدهليز حتى انقض علي هذان ..

فنظر إليها "بيشو" في استغراب وقال مقاطعا :

- جرس إنذار الحريق . ! إن الجرس لم يدق . !

فصاحت في إلحاح :

- بل دق . ! وسقط السهم . ! واشتعل الضوء الاحمر . !

وسار "بيشو" معها إلى مخدعها فالفاها صادقة فيما ذكرت .. كان السهم هابطا والضوء الاحمر مشتعلا وجرس الإنذار لا يزال يدق .

ورجع "بيشو" إلى غرفة "لامور" فقد تضاعفت دهشته .. وفي ذلك الوقت كان الفندق وموظفوه قد احتشدوا في المكان يحفزهم الفضول .

وقرروا جميعا انهم لم يروا مسيو "لامور" .

واشار "بيشو" إلى باب المخدع وقال :

- وما هذا الباب . ؟

فاجابه احد الخدم :

- إنه باب المصعد الخاص بنقل الحقائب .

فطوى "بيشو" الدرج مسرعا حتى انتهى إلى البهو ، فالفى رجاله عند الباب يرقبون ، وقد اكدوا له انهم لم يروا المليونير المختفي .

وهم "بيشو" بالذهاب إلى مكتب مدير الفندق حيث سمع صوتا يعرفه حق المعرفة يقول :

- ماذا جرى ؟ ! هل افلت منك .

دار "بيشو" على عقبيه فإذا به يرى نفسه وجها لوجه إزاء "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة .

وقال "جانيمار" :

- وصلتني رسالتك بعد ظهر اليوم فحضرت على الفور ، لكن يخيل إلي انك عانيت بعض المتاعب .

غير ان "بيشو" لم يحر جوابا .. جعل يحملق إلى وجه "جانيمار" وهو صامت ساكن وقد ذكر ان "لوبين" تنكر يوما على صورة "جانيمار" واصدر طائفة من الاوامر والتعليمات واستطاع ان يخدع جميع رجال البوليس .

راح يسائل نفسه : اهذا "جانيمار" حقا ؟ ام "ارسين لوبين" متنكرا ؟ اهي خدعة اخرى من خدع "لوبين" . ؟

وقال "جانيمار" :

- ماذا دهاك . ؟ لماذا تحملق إلي كالمجانين . ؟

واخيرا تكلم "بيشو" قائلا :

- هل انت .. هل انت "جانيمار" ؟ !

فقطب "جانيمار" جبينه وقال :

- هل انا "جانيمار" . ؟ هل اطارت الهزيمة صوابك يا بني . ؟ عد إلى إدارة الامن العام وضع على راسك كمادة باردة وانتظرني حتى اوافيك.

وسار "بيشو" دون ان ينبس بكلمة .

* * *

في مساء تلك الليلة بعينهادعي المفتش "بيشو" إلى مقابلة "جانيمار" كبير مفتشي البوليس السري .

وتكلم "جانيمار" في صوت هادئ ولكنه بارد النبرات قائلا :

- دعني اولا اكاشفك بالسبب الذي حملني على مغادرة مصيفي والحضور مسرعا . جاءتني رسالتك في الصباح ولكني لم اتسلمها إلا ظهرا إذ كنت غائبا عن الفندق . فما تلوتها حتى ادركت ان "ارسين لوبين" قد اغتنم فرصة غيبتي ليستغل سذاجتك و .. وقلة خبرتك . ! لقد اذعت في الصحف انك حللت مكاني . فانت محب للشهرة والإعلان فما قرا "لوبين" ذلك حتى تحرك للعمل . بعث خطابا معنونا باسمي وهو يعلم انني في عطلة ، كان موقنا انك ستفض الرسالة وقد توليت الامر مكاني . وقد تعمد ذلك حتى تقول في نفسك : "لو كان "جانيمار" هنا لارتكب عدة اخطاء ولافلت منه "لوبين" ، اما انا فلن يفلت مني" .

وهكذا يمتلىء صدرك غرورا . والغرور إذا ركب إنسانا استحال عليه أن يحسن التدبير واستحال عليه ان يتبين بداءة الأمور .

فقال "بيشو" معترضا :

– كيف تقول هذا وقد اتخذت كل حيطة ممكنة . ؟ لقد نثرت رجال البوليس حول ..

فقاطعه "جانيمار" بقوله :

– ولكنك غفلت عن الشيء الوحيد الذي كان ينبغي أن تفعله !

فقطب "بيشو" جبينه وقال :

– وما هو هذا الشيء . !

– اتعرف شركة كوليه وشركاه لتجارة الجواهر . ؟

فقال "بيشو" في دهشة :

– بالتاكيد . إنها الشركة التي باعت القلادة إلى المليونير الامريكي "بول لامور" . !

فابتسم "جانيمار" وقال :

– لست أسالك عن هذا ، إن صاحب محلات "كوليه" رجل غني واسع الثراء يدعى ....

فقال "بيشو" مقاطعا :

– يدعى "شابيه" .

– تماما .. ولكنه كان منذ سبعة اعوام يتسمى باسم اخر ما لبث ان تخلى عنه واتخذ لنفسه اسم "شابيه" .

– وما هذا الاسم الآخر . ؟

– "لامور" .. "بول لامور" . !

فاتسعت عينا "بيشو" دهشة وقال :

– "بول لامور" . ؟

– نعم .. وحين قال "لوبين" في رسالته إنه سيسرق مليون فرنك او ما يعادله من "بول لامور" – كان يقصد بطبيعة الحال صاحب شركة "كوليه" الذي كان يسمي نفسه فيما مضى "بول لامور" .. !

فقال "بيشو" متسائلا :

– ومن يكون إذن "بول لامور" المليونير الامريكي .. ؟

فابتسم "جانيمار" ابتسامة ساخرة وقال :

– "ارسين لوبين" بالتاكيد .. !

فصاح "بيشو" في لهجة المصعوق :

– "ارسين لوبين" . ! ؟

– نعم يا صديقي ! .. هو بعينه ! بلحمه ودمه ! فالمليونير الامريكي الذي سهرت على حمايته هو "ارسين لوبين" .. !

– والحوالة المالية التي قدمها إلى الجوهري .. !

– مزورة بالتاكيد .. لو انه قدم الحوالة إلى الجوهري مباشرة لما رضي هذا بإنهاء الصفقة وتسليم القلادة إلا بعد ان يصرف قيمة الحوالة من البنك ولكن الجوهري تهاون في هذا الامر ثقة منه بعميله.

وكانت شهادتك عن هذا العميل هي عماد الثقة .. الم تقل للجوهري ان "بول لامور" من اصحاب الملايين الامريكيين .. ! الم تقل له إن مدير بوليس نيويورك كتب إليك يوصيك بالسهر على سلامته .. !

– وخطاب مدير بوليس نيويورك .. ؟

– كالحوالة .. مزور ايضا . ! ولو انك ابرقت إلى نيويورك لجاءك منها الجواب الحاسم .. !

وتهالك "بيشو" على احد المقاعد إعياء . واسترسل "جانيمار" يقول :

– اما جرس إنذار الحريق فخدعة اخرى من خدع "لوبين" ...

كان يعلم ان الفتاة الأمريكية التي تقطن إلى جواره تخاف الحرائق التي تشب في الفنادق فما كان منه إلا ان اختار اللحظة المناسبة لإثارة فزعها .

انفذ سلكا من الجدار أثناء غيبتها واوصله بجرس الإنذار . وحين دخل إلى مخدعه والقلادة معه دق جرس الإنذار ففزعت المراة وانطلقت تجري في الدهليز وقد وقع في روعها ان النار شبت في الفندق . وما ان راها الرجلان اللذان ارصدتهما في الدهليز للمراقبة حتى رابهما امرها فانطلقا في إثرها، واغتنم "ارسين لوبين" هذه الفرصة فخرج من

مخدعه بواسطة الباب المفضي إلى الدهليز . وفتح باب مصعد الحقائب المواجه له وهبط إلى الطابق الأرضي وخرج إلى الطريق من كوة الحقائب المتصلة بالمصعد بينما كان رجالك يحرسون ابواب الفندق !

وكان "بيشو" يستمع إلى هذا الحديث وهو صامت مذهول !

وقال "جانيمار" وهو يضحك .

- "بيشو" شرطي عظيم .. ! وهو الذي .. سيقتنص "ارسين لوبين" اليس كذلك..؟

ولم يجد "بيشو" كلمة يرد بها على هذا التهكم .

الفصل السابع

"شارل دوجيفال" كاتب كثير الإنتاج .

ولكنه لم يبلغ بعد مرتبة ذلك الروائي الذي يخرج رواية في كل اسبوع - إن صدقت الشائعات - ومسرحية في كل اسبوعين ، وإذا كان هذا الروائي قد اثرى من قلمه واصاب من ورائه ربحا ضخما ، فإن صاحبنا "دوجيفال" لم يكتسب فرنكا واحدا من مقالاته التي اعتاد أن يوالي بها الصحف .. ولا عجب فقد كان يطرق موضوعات لا يخطر ببال اصحاب الصحف ان يستكتبوا الكتاب فيها من امثال : تاريخ علم الأنساب والسلالات - ضرورة الاقتصاد بين الطبقات الفقيرة ... الخ

اما عن ضرورة الاقتصاد بين الفقراء فموضوع يعد "دوجيفال" حجة فيه .. لانه يفرض على مستاجري مساكنه (وكلهم من الفقراء) إيجارات باهظة ، فلا مندوحة لهم من الاقتصاد حتى يتسنى لهم أن ينقدوه الإيجارات المطلوبة . !

و "دوجيفال" رجل مسكين قليل الحظ .. فمستاجروه ناقمون عليه . ! وموظفوه ناقمون عليه . اما الأولون فيحدثونك عن المساكن المتداعية التي يؤجرها لهم ، وكيف انها في حاجة إلى تجديد وترميم وإصلاح ومع ذلك يتقاضى عنها إيجارا مرتفعا . اما الموظفون والعمال الذين يستخدمهم في مصانعه فيحدثونك عن الأجور التافهة التي يدفعها ، وساعات العمل الإضافية التي يرهقهم بها .

ولقد اشار "دوجيفال" يوما في إحدى مقالاته إلى هذه الشكايات .. اعني إلى التذمر الذي يفشو بين طبقات العمال والموظفين .. وراح يؤكد ان اصحاب المصانع من ارق الناس قلبا ، وان عمالهم يتجنون عليهم ويرهقونهم بالمطالب الجائرة ، وان صاحب المصنع لا يكاد يحصل من الربح على ما يعادل اجر رئيس عماله او كبير كتابه . ! إن عبارات السخط التي تتردد إنما تجري بإيعاز من الاشتراكيين والشيوعيين

الذين يرمون إلى قلب نظام العالم وإحلال الفوضى محل القانون . وإن واجب الحكومة يقضي عليها بان تضرب بيد من حديد على المهيجين الاشتراكيين ودعاة الشيوعية .

وقد اطنب "شارل دوجيفال" في هذا البحث ، ووجد في الشيوعية مجالا خصبا لإثارة حملة قاسية مستمرة .. فراح يعزو إليها كل المفاسد ويسند إليها جميع المساوئ .

ولكن لو ان الحقيقة قيلت لعرف الناس ان هناك الوفا من الموظفين والمستاجرين والعمال يكرهون الشيوعية بقدر ما يكرهون "شارل دوجيفال" .

ولا شك ان "إيفون دورني" كانت بين الذين يبغضون "دوجيفال" .

حقيقة كان "دوجيفال" معها سخي اليد ، كريم البذل ، ولكن كرمه لم يبرئ جراح قلبها الكسير .. وحقيقة : "إن هذه الأشياء تقع كثيرا كما قال "دوجيفال" على طريقته الفياضة بالصلف والخشونة ، ولكن قوة حجته لم تقنع الفتاة المسكينة .

كانت "إيفون" تشتغل سكرتيرة لمسيو "شارل دوجيفال" .. وبعد عام امضته في خدمته اضطرت إلى ان تعتزل العمل . وسافرت إلى مارسيليا، فاتخذت لنفسها غرفة صغيرة في نزل حقير .. واستمر "دوجيفال" يرسل إليها في كل اسبوع مائة فرنك .. لتنفق منها على نفسها وعلى .. وعلى الطفلة . !

وفي ذات يوم هبط مارسيليا رجل غريب الاطوار .. محب للعزلة والاعتكاف عن الناس .. ولم يجد هذا الرجل اصلح لإقامته من النزول في نزل (شوفيه) الذي اتخذت "إيفون" مسكنها فيه .

كان الرجل كهلا وخط المشيب راسه .. وفي عينيه بريق يدل على الطيبة وسلامة الطوية .. وكانت له طريقة في انتزاع الثقة من الناس وحملهم على الركون إليه .. والإفضاء له بكل ما تجيش به صدورهم من أسرار خاصة .. وكان محبا للاطفال يعرف كيف يجتنبهم إليه .. وكيف يداعبهم ويطرفهم بالحكايات المسلية .. فما اقام في النزل اياماً

حتى احبه جميع من فيه .. كبارا وصغارا .. رجالا ونساء .

وهكذا .. في خلال الاسابيع التي كان "جانيمار" يبحث فيها عن "ارسين لوبين" .. وينقب كل ركن في فرنسا (عدا نزل شوفيه) سعيا وراءه - كان "لوبين" قابعا في النزل يستمع إلى قصة "إيفون دورني" وهي تحدثه بما جرى بينها وبين "شارل دوجيفال" ، وكيف اغواها بعد ان مناها بالوعود الخلابة . وكيف كانت تختلف إلى داره سراً في كل ليلة دون ان يشعر بها احد . ؟

- وكيف هذا ؟ ! وأين الخدم إذن .. ؟

- لم يكونوا يرونني .. كنت اتسلل إلى غرفة مكتبه مباشرة من سرداب سري متصل بالجراج .

وحدثته عن السرداب السري .

كان "شارل دوجيفال" حريصا على سمعته فانشا هذا السرداب حتى تختلف إليه عشيقاته عن طريقه دون ان يدري بامرهن احد .

ولكنه لم يكن حريصا عل سمعة الفتيات اللائي يغرر بهن .. !

وارته "إيفون" صورة فوتوغرافية لـ"شارل دوجيفال" كتب في ذيلها كلمة إهداء "إلى حبيبتي ايفون دورني" .

كانت المسكينة وهي تتحدث تكاد تبكي لفرط ما تحس به من عذاب وقلبها يتفطر حزنا .. بعد ان اصاب منها كل ما ينشد نبذها هي وطفلتها .. ! وقال لها بلا مبالاة "إن هذه الأشياء تحدث كثيرا .. !

ووعدها بان يواليها بمائة فرنك في كل اسبوع . وقد بر بوعده ..

ولكن اتغني المائة فرنك عن عدم اندمال الجروح المعذبة .. ؟!

ورثى الشيخ الطيب القلب للفتاة المسكينة وراح يعزيها بما حضره من كلمات محاولا ان يخفف وقع الماساة على نفسها .

ويقيم "شارل دوجيفال" في بيت جميل في شارع الجيش ، وكان من عادته ان يمضي إلى مقر شركته في كل صباح فيقضي في مكتبه ساعتين ينحي باللائمة في خلالها على جميع رؤساء الاقسام ، ويزعق في بعض الموظفين ثم يدير في قوائم المرتبات عين نسر فاحصة

ويجري بقلمه الاحمر عليها فيخفف بعضها ويخصم من بعضها ولكن من المحال ان يرفع احدها .. ! ثم يستدعي إليه المدير ويلقي عليه محاضرة طويلة عريضة في انه قد بدأ عمله وهو لا يملك فرنكا ولكنه استطاع بالجد والمثابرة والنشاط ان يجمع ثروة ضخمة .. ! ولكنه لا ينكر مطلقا ان استنزاف دماء العمال وبخسهم اجورهم ذلك اهم عاملين في تكوين هذه الثروة .. !

فإذا ما فرغ من هذه المحاضرة اليومية رجع إلى داره وجلس إلى مكتبه القريب من النافذة مرسلا بصره إلى الحديقة الغناء ، ثم يشرع في تحبير مقالاته او محاضراته التي اعتاد ان يلقيها في مختلف الاندية والجمعيات .

وكانت غرفة مكتبه اية في الجمال .. تشرف على حديقة تنتظمها الأزهار.. وينتشر في اركانها اثاث فاخر بديع الصنع .. لم يكن هناك وجه للمقارنة بين هذه الغرفة وبين الجحور القذرة التي ينام فيها موظفوه . ولا بينها وبين الأكواخ المتداعية التي يعيش فيها مستاجروه .. ويموتون .. !

سمع "شارل دوجيفال" وهو منهمك في كتابة مقاله نقرا خفيفا على الباب وقال :

- ادخل ..

ودخل خادم يرتدي ثيابا مزركشة ويحمل صينية مطعمة بالذهب فوقها بطاقة. فقد كان "دوجيفال" مولعا بالمظاهر والرسميات .

تناول "شارل دوجيفال" البطاقة فالقى عليها نظرة مقطبة ثم قال متمتما :

- المفتش "جانيمار" .. ! ؟ ليت شعري من يكون "جانيمار" هذا .. ؟ وماذا يبتغي مني .. ؟ ادخله ..

ودخل "جانيمار" .

وامتعض "دوجيفال" لرؤيته .. امتعض إذ ادرك ان هذا الشرطي لا يحفل بالمظاهر والرسميات .. ! إنه رجل قليل المبالاة والاحترام للناس.

وهذه طباع "اشتراكية" لا يقرها "دوجيفال" .. طباع بثها دعاة الشيوعية الملاعين .. !

والقى "جانيمار" بقبعته على الارض تحت احد المقاعد واستوى جالسا دون ان يدعوه رب الدار إلى الجلوس .. وامتعض "دوجيفال" للمرة الثانية .

قال "دوجيفال" في لهجة تدل على نفاد الصبر :

- نعم يا سيدي .. ؟ اظنك جئت تقابلني بشان صرافي الذي اختلس جانبا من الإيرادات ؟ إنني اوثر ان تقابل وكيل الإدارة ، إذ لم تجر عادتي ان ..

ولكن "جانيمار" قاطعه بقوله :

- كلا .. إني ما جئت احدثك في شان الصراف المختلس يا مسيو "دوجيفال"، وإنما جئتك في شان مقالك الذي ظهر في عدد هذا الصباح من جريدة (لا كوربير) .. مقالك الذي تحدثت فيه عن الجريمة والمجرمين وناديت بضرورة فرض عقوبة الإعدام على المجرمين معتادي الإجرام .

طاب هذا الحديث لـ"شارل دوجيفال" فتراجع قليلا في مقعده وقد انبسطت اساريره .. إدارة الأمن العام قد اهتمت بمقاله .. ! رجال البوليس وعلى رأسهم كبير المفتشين يقيمون وزنا للآراء التي يبديها.! ما اعظمه نجاحا !

وقال "دوجيفال" :

- اه .. بالتاكيد .. ! بالتاكيد .. ! لقد نسيت .. واظنك تشاطرني رايي يا حضرة المفتش في ان المجرم المعتاد الإجرام لا يستحق اقل من الإعدام . إنه وحش على ..

وللمرة الثانية قاطعه "جانيمار" الذي لا يفهم في المجاملات قائلا :

- إن رايك عن المجرمين معتادي الاجرام لا يعنيني في قليل او كثير .

فبدا الامتعاض جليا على وجه "دوجيفال" ، ولم يحاول ان يخفي ما

بنفسه .

واسترسل "جانيمار" قائلا دون ان يبالي بامتعاض رب الدار :

– في مقالك عن الجريمة والمجرمين تحدثت عن لص معين ، "ارسين لوبين" . وقلت إن من العار ان يظل هذا اللص مطلق السراح والبوليس عاجز عن القبض عليه والاقتصاص منه على ما اقترف من جرائم .

فاغتنمها "شارل دوجيفال" فرصة للانتقام من "جانيمار" وقال :

– ولا ازال عند هذا الراي .. ! نعم إنه لعار كبير ان يبدي البوليس مثل هذا العجز الشائن .. ! لا شك ان مقالي احدث رجة في إدارة الامن العام . ؟ إني اسف دون شك ولكن لا يسعني إلا ان اقرر الحقيقة فبصفتي كاتبا اطرق موضوعا ذا صلة بالصالح العام لا مفر لي من ترديد ما اعتقد ان السن الناس جميعا تجري به .

فضحك "جانيمار" وقال :

– إن قراءة مقالاتك تلذ لي يا مسيو "دوجيفال" ولكني اؤكد لك انها لم ولن تحدث رجة في إدارة الامن العام . إن رجال البوليس يعلمون قبل ان يتولوا مهنتهم ان اصحاب هذه المناصب عرضة للنقد وللحملات القاسية . فإذا مر يوم لم نستهدف فيه للحملات وقع في روعنا ان الناس قد جنوا . ! ولكنني جئت لغاية اخرى .. جئت لانذرك بان من الخطر الجسيم ان تحشر اسم "ارسين لوبين" في مقالاتك . إنك بذلك تسترعي انتباهه وتجر على نفسك الاخطار ولا سيما ان لدينا من الاسباب ما يجعلنا نعتقد انه كان مقيما في الايام الاخيرة في نزل "شوفيه" ..!

فقطب "شارل دوجيفال" جبينه .. نزل "شوفيه" . ؟ إنه ينكر هذا الاسم.. ولكن باية مناسبة . ؟

فقال متسائلا :

– نزل شوفيه ؟ وما اهمية ذلك ؟

وفي هدوء اجابه "جانيمار" بقوله :

– تقيم في نزل "شوفيه" فتاة تنتحل لنفسها اسم مدام كالمار" ولكننا

نعرف ان اسمها الحقيقي هو "إيفون دورني" .. كما نعرف انها كانت تعمل سكرتيرة لك .. ولست ادري إذا كان لديها من الاسباب مايثير نقمتها عليك ام لا .. ولكن كل الظواهر تدل على انها شديدة النقمة عليك .. كانت سكرتيرة لك .. وهي فتاة حسناء ! .

فقال "دوجيفال" مقاطعا :

– إني اعرف كل شيء يتعلق بمس "إيفون دورني" . ! كان من سوء حظها ان.. ولكن ما الداعي إلى إثارة هذا الموضوع ، ولست احب ان اتحدث إليك في شانها .

فقال "جانيمار" في اسلوبه الجاف المنطوي على الخشونة :

– وانا ايضا لا احب ان اتحدث إليك في شانها يا مسيو "دوجيفال" ، إن إدارة الامن العام تهتم عادة بما هو اخطر من حادثة مس "إيفون دورني" ولكن يهمني ان اكاشفك بامر له خطورته وهو : إذا كان الرجل الذي امضى اسبوعين في نزل "شوفيه" هو "ارسين لوبين" فثق انك ستسمع باسمه عاجلا .. ولهذا انصحك بان تكف عن إقحام اسمه في مقالاتك حتى لا تسترعي اهتمامه . ! وهذا كل ما لدي . !

فنهض "شارل دوجيفال" واقفا واقترب من "جانيمار" وقال له في لهجة حادة: – دعني اصارحك يا مسيو "جانيمار" بانه قد ادهشني ان تتقدم إلي بمثل هذا الاقتراح . ! إن واجب البوليس يقضي عليه بحمايتي ، ولكن الحماية لا تكون بإسداء امثال هذه الاقتراحات التي تدل على الجبن والتخاذل .. الا يقضي علي الواجب بصفتي مواطنا شريفا ان انادي بضرورة القبض على هذا اللص ؟ ! واعلم ايضا يا مسيو "جانيمار" ان واجبي يقضي بان اوالي الحملة على رجال البوليس وما يبدون من ضعف وعجز وجبن ! وساجعل من هذا البحث موضوعا لرسالتي التالية إلى صحيفة (لا كوربير) .. ولن اتحاشى الإشارة إلى "ارسين لوبين" ! نعم .. سانادي بملء صوتي بان "لوبين" حر طليق .. وان البوليس عاجز عن القيام بواجبه . !

وهز "جانيمار" كتفيه في غير اكتراث ونهض واقفا وهو يقول :

- الم يخطر ببالك ان في وسعنا ان نتخذ منك طعما لا قتناص "ارسين لوبين".. وان واجبنا يصبح اهون واسهل لو اننا شجعناك على إثارته واسترعاء انتباهه ..!؟ من صالحنا ان نشجعك على الكتابة حتى إذا حاول "لوبين" الدنو منك وجدنا في انتظاره .. ولكنني غلبت سلامتك على مصلحتنا وبادرت إلى تحذيرك فافعل ما بدا لك ..!

* * *

والواقع إن هذه الفكرة لم تخطر ببال "شارل دوجيفال" .. بل إنه لم يقتنع بها حتى بعد ان كاشفه بها "جانيمار" ، فما ان انصرف الزائر حتى شرع "دوجيفال" في كتابة مقاله الثاني عن الجريمة والمجرمين .. كان في أول الأمر منهمكا في تحرير كلمة عن "علاج الفقراء" ضمنها كل علاج ممكن وإن كان قد اغفل علاجين خطيرين هما : رفع اجور الموظفين والعمال ، وتخفيض إيجارات المساكن ..! ولكنه اثر ان يرجئ علاج الفقر حتى يفرغ من علاج الجريمة والمجرمين .

ودق "دوجيفال" الجرس يستدعي سكرتيره ، وامره بان يوافيه على الفور بكل ما لديه من معلومات عن "ارسين لوبين"..!

ثم استهل مقاله بالعبارة الآتية :

"حين تحدث الموسيقي (بلليني) عن نعمة الكسل ، وتمضية الأيام بلا عمل - لا شك انه كان يعني بكلمته رجال البوليس في هذه الأيام وموقفهم الشائن إزاء ذلك اللص الشرير المدعو "ارسين لوبين".. "

واسترسل "دوجيفال" في مقاله بحماسة والفاظ رنانة قوية ، فحمل حملة شعواء على موقف البوليس ، وطالب بشدة بضرورة إصلاح نظم الأبحاث الجنائية .. بل لقد طالب بإقالة جميع رؤساء البوليس وإحلال سواهم مكانهم .. ودلل على صحة رايه باستعمال بعض التعبيرات الطبية فقال : إن إدارة الأمن العام في حاجة إلى دم جديد ..!

ولكن مقاله الملتهب غيرة ورغبة في الإصلاح لم ينشر بحذافيره ، فقد اقتص بعض جوانبه المنظم الذي يتولى "توضيب" الصفحة فرفع شطراً منه لينشر إعلانا عن سباق الكلاب !

وقرا "جانيمار" المقال واغرق في الضحك وقال :

- مسكين هذا الرجل ..! إنه يجهل ان "لوبين" قد بدا يهتم به ..!

اما المفتش "بيشو" فابتسم وقال :

- ولكني اشاطره رايه ، إن إدارة البوليس السري في حاجة إلى دم جديد ..!

فقال "جانيمار" :

- وانت دون شك هذا الدم الجديد ؟!

- ولم لا ..؟

فنظر "جانيمار" إلى مرؤوسه في غيظ مكتوم ثم قال متهكما:

- صدقت .. فإدارة البوليس في حاجة إلى براعتك التي اظهرتها في قضية الجوهري "بول لامور"..!

ثم اخذ يقهقه ضاحكا وقال :

- ها .. ها .. "بيشو" يحرس المليونير الامريكي "بول لامور" ضد "ارسين لوبين" .. على حين ان المليونير هو نفسه "لوبين"..! ها .. ها ياللك من شرطي نابغ يا عزيزي "بيشو"..! نعم إننا في حاجة إلى نبوغك وعبقريتك ..!

وسكت "بيشو" على مضض ..! إذ كانت هذه الحادثة شوكة في حلقه.!

* * *

بعد يومين من ظهور المقال حمل "البريد" خطابا إلى "شارل دوجيفال" وكان الخطاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .. وهذا نصه :

إنك كاتب عظيم .. قوي الاسلوب .. فهل لك يا ترى هذه المقدرة في المحاضرات والمناظرات ..؟ إن في نيتي أن اقيم حفلة ساهرة بمناسبة عيد راس السنة ادعو إليها جميع مستاجري مساكنك البؤساء ، وقد استاجرت صالة البلدية لهذا الغرض .

ففي الساعة التاسعة من مساء ليلة راس السنة ساصعد إلى منصة

الخطابة في قاعة البلدية لأناظرك في موضوع عقوبة الإعدام وهل من الأصلح إبقاؤها او إلغاؤها .. فهل انت على استعداد لمناظرتي ؟

اطلع المفتش "جانيمار" على هذا الخطاب .. واجب عن طلبي في قسم الإعلانات في صحيفة (الاكوربير) "

"ارسين لوبين"

وغمغم "شارل دوجيفال" يقول :

- يا للشيطان ! .. يا للجراة ! ..

واتصل تليفونيا بإدارة الأمن العام ، وطلب إلى "جانيمار" ان يحضر لمقابلته.. وهاجت ثائرته حين دعاه "جانيمار" إلى الحضور إلى مكتبه إذا كان في حاجة إليه .. !

وقال "دوجيفال" :

- إني لن اخرج بعد ظهر اليوم .

فكان جواب "جانيمار" ان قال في هدوء :

- وكذلك انا .. ! يمكنك أن تحضر لمقابلتي في تمام الساعة الثالثة .. وساخصك بعشر دقائق ليس غير .

وطاطا "دوجيفال" من كبريائه ومضى إلى إدارة الأمن العام في الموعد المحدد، ولكن "جانيمار" تعمد أن يبقيه في الانتظار ربع الساعة قبل أن ياذن له بالدخول عليه .

وتناول "جانيمار" الخطاب فتلاه في صوت مرتفع ثم قال :

- نعم .. ؟ وهل تنوي أن تقبل هذا التحدي ..؟ !

فحملق "دوجيفال" إلى وجهه وقال : اقبل :

- هذا التحدي .. ؟ اتريد ان تقول : إن هذا اللص سيحضر حقيقة إلى قاعة البلدية في الساعة التاسعة من مساء راس السنة ليناظرني..؟ هذا امر مستحيل .. !

فقال "جانيمار" في هدوء :

- إذا قال "ارسين لوبين" : إنه سيحضر إلى قاعة البلدية فاعلم انه سيحضر..!

- على الرغم من رجال البوليس .. ؟

- وعلى رغم رجال البوليس .. ! ولست ادري ما سيحدث بك إذا ما حضر ... لكني موقن على الاقل ، من ان ما سيحل بك سيرضي اعداءك ويحزن اصدقاءك .. ! وارى ان تعلن في (لا كورييه) بقبولك المناظرة وسابذل كل ما في وسعي لحمايتك .

ولم يكن "دوجيفال" خائفا ولكنه كان دهشا .

وقال :

- تريد يا حضرة المفتش ان تقول ..

فقاطعه "جانيمار" بقوله :

إني رئيس المفتشين .. !

فقال "دوجيفال" وقد نفد صبره :

- وهل كونك مفتشا او رئيسا للمفتشين امر ذو اهمية .. ؟ إنك شرطي تمنح مرتبك لحماية الناس .. وهذا كل ما يعنيني من امرك .. ! اتريد ان تقول : إنك تنظر نظرة جدية إلى هذا الخطاب .. ؟

- نعم .. وانصحك ان تحذو حذوي ..

في الأيام القليلة المقبلة اصاب مسيو "شارل دوجيفال" شهرة عريضة مدوية.. لقد اذاع في الصحف نص الخطاب الذي جاءه من "ارسين لوبين" فلم يعد للناس من حديث إلا عن هذه المناظرة .. في ليلة راس السنة سيظهر "لوبين" علانية على ملأ من الناس . ستجري بينه وبين "دوجيفال" مناظرة علنية . ! لقد بلغت جراة "لوبين" حداً يذهل العقول ويحيرها .. !

ودلت التحريات على أن قاعة البلدية التي ستجرى فيها المناظرة قد استؤجرت فعلا في الليلة المعهودة .. ! استاجرها احد المحامين لحساب موكل مجهول .. وقد دفع الإيجار مقدما .. وتولى احد المطاعم الكبرى صف المقاعد وإعداد المرطبات لثلاثة آلاف شخص .. ودفع الأجر إلى المطعم مقدما ايضا .

واشارت بعض الصحف بضرورة إلغاء العقد وعدم تاجير القاعة

ولكن إدارة الأمن العام تدخلت في الأمر وأشارت بإبقاء الحال على ما هي عليه ، فإن في ذلك فرصة لاقتناص "أرسين لوبين" .

واستدعى "جانيمار" صاحبه "بيشو" وقال له :

– والآن ما رأيك في هذه الفرصة الجديدة .. ؟ لقد افلت منك "لوبين" في المرة السابقة .. اعني في حادث المليونير الامريكي . فهل لك ان تجرب حظك في هذه المرة . ؟

فاشرق وجه المفتش "بيشو" وقال :

– وهذا ما كنت اصبو إليه .. ! ساظفر به هذه المرة ولن اخطئ كما اخطأت من قبل .. !

فضحك "جانيمار" وقال :

– فليكن لك ما تريد .. ولكن اعلم انها فرصتك الأخيرة .. إني اعلم ان "لوبين" سيبر بوعده وسيظهر على منصة الخطابة . وكنت احب الا يتمكن من الإفلات .

– ثق انه لن يفلت . !

وفي صباح احد الأيام حمل البريد إلى كل مقيم في مسكن من مساكن "شارل دوجيفال" بطاقة دعوة لحضور المناظرة التي ستجرى بين "دوجيفال" وبين "أرسين لوبين" في موضوع عقوبة الإعدام وصلاحيتها أو عدم صلاحيتها.

وفيما بين يوم وليلة أصبح "دوجيفال" اشهر اهل باريس .. وكان إذا دخل مطعما .. اشار إليه الناس وراحو يتهامسون !

هذا هو الرجل الذي سيناظر "أرسين لوبين" . !

ولما اقترب الموعد المحدد للمناظرة قال "جانيمار" يخاطب المفتش "بيشو" :

– اعلم انك تكفلت بهذ القضية ولكن اتسمح لي بان ادلي باقتراح صغير . ؟

فهز "بيشو" كتفيه في غير اكتراث وقال :

– تكلم .

فقال "جانيمار" :

– انصحك بان تعد خارج البلدية اربعة اطباء وعربة إسعاف لنقل "شارل دوجيفال" إلى المستشفى .

– ولماذا اربعة اطباء . ؟

فكان جواب "جانيمار" :

– طبيبان يتوليان العناية بـ"دوجيفال" .

– والآخران . ؟

– ليتوليا العناية بك انت . !

وقهقه ضاحكا . !

فقال "بيشو" :

– اضحك كيف شئت . ! غدا ستقر بنبوغي . !

– إني اقر به منذ حادث المليونير الأمريكي "بول لامور" . !

ولما اقتربت الليلة الموعودة تلقى مسيو "شارل دوجيفال" الخطاب الثاني .

وكان هذا نصه :

"أرجو الا تتخلف عن الحضور .. عندما اصعد إلى منصة الخطابة في تمام الساعة التاسعة سانتظرك عشر دقائق . ولن ازيد عليها دقيقة واحدة ."

ولكن مسيو "دوجيفال" كان في تلك الأيام قليل الاهتمام بـ"أرسين لوبين" إذ ظهر في الميدان مناظر جديد استرعى الأبصار . فقد تلقى "دوجيفال" رسالة من رجل إنجليزي الجنسية يدعى "آرثر آنوس" ذكر فيها انه من اشد اعداء عقوبة الإعدام وانه لا يفتا ينادي في كل بلد يحل به بضرورة إلغاء هذه العقوبة الهمجية . وابدى استعداده للاشتراك في المناظرة إذا تخلف "أرسين لوبين" عن الحضور (كما هو المنتظر) وقال إنه يجيد الفرنسية كابنائها . وبعد وصول هذه الرسالة إلى "دوجيفال" حضر صاحبها بنفسه يزوره . وكانت هيئته تدعو إلى الاحترام ولا تثير في النفس شيئا من الشكوك . وكانت له لحية طويلة

نامية تحملك على تبجيله .

وقال مستر "ارثر انوس" :

- إنك .. ستذهب يا سيدي إلى قاعة البلدية . وستعد خطابك .. وستدرس موضوع المناظرة حق الدرس .. فليس من الإنصاف إذا ما تخلف "ارسين لوبين" ، ان تعود ادراجك دون ان تلقي كلمتك .. ولهذا ساحضر إلى القاعة بصفتي مناظرا احتياطيا فإذا تخلف "لوبين" حللت مكانه فما رايك في هذا . ؟

وطابت الفكرة لـ"شارل دوجيفال" إذ كان قد اعد كلمته فعلا وكتبها على الآلة الكاتبة . فوعده بالتفكير في الامر ومكاشفته برايه فيما بعد.

ولكنه رأى على سبيل الحيطة ان يخطر إدارة الأمن العام بالأمر .

وقال المفتش "بيشو" :

- "ارثر انوس" . ؟ إني لا اذكر هذا الاسم .

واسرع إلى التليفون واتصل بـ"دوجيفال" وقال له :

- لا ترفض طلبه !.. وأين يقيم . ؟

- لا أدري فانا لم اساله .. ولكنه سيخاطبني الليلة تليفونيا ليعرف ما استقر عليه عزمي . ويخيل إلي انه رجل ظريف حلو الحديث .

فقال "بيشو" وهو يبتسم :

- بالتاكيد .. بالتاكيد .. لا بد أن يكون ظريفا حلو الحديث . !

ثم قال في نفسه : وهل زعم احد أن "ارسين لوبين" ليس ظريفا حلو الحديث.؟

وكما فعل "بيشو" في قضية المليونير الامريكي "بول لامور" فعل ايضا في هذه القضية .. اتخذ احتياطات دقيقة فضرب حصارا شاملا حول دار البلدية عماده عدد كبير من رجال البوليس الراكب يدفعون بعيدا عن الباب الجماهير المحتشدة التي جاءت يحفزها الفضول ، وانتشر رجال البوليس السري في كل مكان . وصدرت الاوامر بعدم السماح لأحد بالدخول عدا الذين يحملون بطاقات الدعوة .

وقال المفتش "جانيمار" ينصح "بيشو" :

- تذكر شيئا مهما .. حين يريد "ارسين لوبين" ان يتنكر ، فهو لا يعتمد على اللحى المستعارة والأنوف المصطنعة .. كلا .. إنه ينتحل شخصية رجل ما فإذا به يصبح نفس الرجل : صوته .. وهيئته وقوامه . واسلوبه في الحديث .

فقال "بيشو" :

- يمكنك ان تثق بمقدرتي .

فابتسم "جانيمار" وقال :

- المشكلة الكبرى هي اني لا اثق بمقدرتك . !

واولى "بيشو" ظهره وتركه للمصير الذي ينتظره ..

لم يحضر المدعوون في الموعد وإنما حضروا قبل حلوله ببضع ساعات .. ! ففي الساعة الرابعة بعد الظهر بدءوا يتوافدون ويزحمون الطريق . ورجال البوليس يعانون صعوبة كبيرة في تنظيم حركة الدخول ، وما ان بلغت الساعة السابعة مساء حتى كانت المقاعد كلها قد غصت بالحاضرين وكانت هناك فرقة موسيقى تشنف اذان الحاضرين بالحانها حتى لا يتسرب الملل إلى نفوسهم ، إذ كان "لوبين" قد عزم على إقامة حفلة راقصة عقب المحاضرة .

حضروا جميعا متلهفين يستبد بهم الفضول .. ترى ما الذي سيقع.؟

هل سيحضر "ارسين لوبين" حقيقة . ؟ وكيف يتمكن من الفرار ورجال البوليس يسدون منافذ الطرقات ويحرسون الابواب . ؟

وفي منتصف الساعة التاسعة ذهب المفتش "بيشو" وفي رفقته اربعة من ضباط البوليس إلى منزل "شارل دوجيفال" فقادهم الخادم إلى قاعة المكتب الجميلة الفاخرة الرياش .

وكان "دوجيفال" جالسا إلى مكتبه يطالع فنظر إلى زائريه من فوق نظارته واشار إلى المقاعد قائلا :

- تفضلوا بالجلوس .. واسمحوا لي بان اتم رسالتي إلى صحيفة (لاكورييه).

واستمر يكتب نحو ربع الساعة . ثم وضع القلم وجفف الحبر وطوى الأوراق واودعها ظرفا كبيرا .

ثم تحول إلى المفتش "بيشو" قائلا :

– لقد طرأت على بالي فكرة .. خطر لي أن من المحتمل أن يكون هذا المناظر الإنجليزي "أرثر انوس" رجلا مريبا .. ؟

فقال "بيشو" :

– وهذا ما خطر لي يا سيدي .. فلا يزعجك امره .. لقد اصدرت امرا مشددا بعدم السماح بالدخول إلا لمن يحملون بطاقات الدعوة ، فإذا ما جاء "انوس" اضطر إلى ان يذكر اسمه لرجال البوليس (ما دام لا يحمل بطاقة) حتى يأذنوا له بالدخول .. ولن يتخطى العتبة حتى يتبعه نفر من اقدر رجالي .. إنني اعتقد ان "انوس" هذا هو "ارسين لوبين" نفسه.. لقد وعد بأن يظهر على المنصة فعمد إلى هذه الحيلة .. يتقدم منتحلا اسما آخر زاعما انه جاء ليحل محل "لوبين" إذا تخلف .. ! ولكني فطنت لحيلته . ! واتخذت الحيطة . ! فإذا ما ظهر "انوس" على المنصة انقض عليه رجالي .. فكن مطمئنا يا مسيو "دوجيفال" .

فابتسم "دوجيفال" وقال :

– إني مطمئن تمام الاطمئنان ما دمت ساهرا على حمايتي .

* * *

نهض "شارل دوجيفال" واقفا وقال يخاطب ضيوفه من رجال البوليس :

– والآن يمكننا ان نمضي إلى قاعة البلدية أيها السادة ..

وكان في انتظارهم سيارة استقلوها طوت بهم الطريق في دقائق قليلة فإذا هم امام الدار، فصعدوا إليها من باب خاص .

اخذت الدقائق تتتابع ..

واخيراً دقت الساعة تسع دقات .. إيذانا بحلول موعد المناظرة .

وفتح باب القاعة المتصل بمنصة الخطابة ودخل مسيو "شارل دوجيفال" .

سار "دوجيفال" مباشرة إلى المنصة يحيط به حراسة : المفتش "بيشو" واثنان من ضباط البوليس .

ونسي الحاضرون في ثورتهم وحماستهم انهم مستاجرو مساكن "دوجيفال" وانه يبهظهم الإيجار ولا يقدم إليهم إلا بيوتا متداعية رطبة.. نسوا هذا امام الحادث المنتظر فتحركت ايديهم ودوت القاعة بالتصفيق الحاد ..

صعد "دوجيفال" إلى المنصة في خطوات مضطربة وعقد يديه على صدره في انفعال ووقف ينتظر .

وساد القاعة سكون شامل ، حتى ليسمع المرء تردد الأنفاس في الصدور .. كانوا جميعا ينتظرون .. ويترقبون .. ويتلهفون ..

ترى أيبر "ارسين لوبين" بوعده . ؟ ايحضر حقا . ؟ ام تكون هذه اول مرة ينكث فيها العهد . ؟ وإذا حضر فكيف يتسنى له الفرار ودار البلدية محاصرة ورجال البوليس السري منتشرون في كل مكان .

"سيحضر "لوبين" .. كلا .. لن يجرؤ على الحضور .. بل سيحضر .. بل لن يحضر .."

بهذا تهامس الحاضرون في وجل ولهفة .. ولكن الدقائق اخذت تتوالى دون ان يبدو اي اثر لـ"ارسين لوبين" .

وفجاة نهض احد الجالسين واقفا . واستقرت عليه الأبصار .. وقال الناس : ربما كان هذا هو "لوبين" !

وتكلم الرجل وهو يعبث بلحيته الطويلة قائلا :

– بما ان "ارسين لوبين" قد تخلف عن الحضور فإني ساتولى مناظرتك بدلا منه يا مسيو "دوجيفال" كما اتفقنا على ذلك .

وسار إلى المنصة .. ثم قال :

– لقد اعددت نقاط الموضوع وارى ان ..

ولكن قبل ان يمد يده إلى جيبه كان رجال البوليس السري قد اطبقوا عليه ، وقبل ان يدري احد من الحاضرين حقيقة ما حدث كانوا قد انتزعوه من المكان ومضوا به إلى إحدى القاعات المجاورة .

وتقدم المفتش "بيشو" من "شارل دوجيفال" وقال وقد اشرق وجهه ابتهاجا .

- هذا كل شيء يا سيدي . ! ولست أرى ما يدعو إلى بقائك ، فيمكنك ان تعجل بالانصراف .

وأمر ضابطي البوليس بمرافقة مسيو "شارل دوجيفال" إلى سيارته.

وأسرع هو إلى القاعة المجاورة لاستجواب الاسير الملتحي . !

وكان مستر "ارثر انوس" ثائرا هائجا شديد الغضب .

وكان يصيح قائلا :

- تبأ لكم . ! لماذا تشدون لحيتي . ! والله لو حاول احد منكم إن يجذب لحيتي مرة اخرى لدققت عنقه . ! ستعلم الدنيا باسرها هذه الفضيحة التي ارتكبها البوليس الفرنسي . !

وحين دخل "بيشو" إلى القاعة اقترب منه احد رجاله وقال :

- إنها لحية حقيقية .. غير مستعارة . !

فقطب "بيشو" جبينه وقال :

- لحية غير مستعارة . ؟

- نعم .. لقد جذبناها مرارا بكل قوتنا فلم تنخلع في ايدينا . !

ومع الرجل اوراقه الشخصية التي تثبت انه يدعى حقيقة "ارثر انوس" . !

ونظر المفتش "بيشو" في الأوراق وعرف انها صحيحة .

وادرك أن غلطة قد ارتكبت .. غلطة جسيمة . !

واقبل على الرجل يقول :

- لماذا جئت باريس . ؟

فصاح "انوس" مزمجرا :

- لقد دعيت إلى الحضور .. كنت في لندن فاستدعيت .. جاءني سيد لا اعرفه واعطاني اربعين جنيها وطلب إلي ان اناظر مسيو "شارل دوجيفال" في موضوع عقوبة الإعدام .

فحملق المفتش "بيشو" دهشا .. ما معنى ذلك .. لا شك أن هذا السيد المجهول هو "ارسين لوبين" .. ولكن إلى اي غرض يرمي بدعوة "ارثر انوس" إلى القاء المناظرة . ؟

وهز بيشو" كتفيه وقال :

- مهما يكن من الأمر فقد استرحنا من "ارسين لوبين" وارغمناه على الفرار . اكرهناه على التخلف عن الحضور وهذا انتصار ينبغي أن يحسب له حساب . !

ورجع إلى إدارة الأمن العام فوجد المفتش "جانيمار" في انتظاره وهو يتلهف على الانباء .

وابتدره "جانيمار" بقوله :

- كنت اوشك ان اخف إلى دار البلدية لاهنئك بانتصارك العظيم واقتناصك "ارسين لوبين" .

فزوى "بيشو" ما بين حاجبيه وقال :

- لا تتهكم .

- اتهكم . ؟ اتريد ان تقول إنه افلت منك . ؟

- حسبي اني اكرهته على عدم الحضور . !

وروى القصة .. فلما فرغ منها قال "جانيمار" في غيظ وغضب :

- يا للحماقة . ! لماذا لم تتصل بنا تليفونيا . ؟

وانبعث واقفا وغادر مكتبه وهو يجري وعلى رغم شيخوخته هبط السلم وثبا . واستقل سيارة امر سائقها بان يطير به إلى بيت مسيو "شارل دوجيفال" .

وقال "جانيمار" يسأل الخادم :

- هل مسيو "دوجيفال" موجود . ؟

- نعم .. لقد رجع منذ ساعة .

- واين هو .. ؟

- في غرفة مكتبه يا سيدي .

ولكن "شارل دوجيفال" لم يكن في غرفة المكتب . لا ولم يكن في مخدع

النوم.. !

طافوا بالحجرات يبحثون ويفتشون .. واخيرا عثروا عليه في غرفة مهجورة فوق سطح المنزل .. ! وكان مقيدا مكمما .

حلوا وثاقه ورفعوا الكمامة عن فمه . فتكلم . !

قال إن "ارسين لوبين" زاره بعد ظهر اليوم وهو جالس في مكتبه يقلب النظر في المحاضرة ، دخل عليه "لوبين" بواسطة السرداب السري الذي يصل مباشرة بين الجراج وقاعة المكتب .

فقال "جانيمار" :

– وإذن فإن "شارل دوجيفال" الذي استقبل "بيشو" والضابطين في قاعة المكتب لم يكن انت .. ؟

– لا .. لاني كنت سجينا في هذه الغرفة .

فابتسم "جانيمار" وقال :

– الآن صح رأيي .. حضر إليك "لوبين" وسجنك ثم تقمص شخصيتك.. ارتدى ثيابك .. وتنكر على صورتك .. وقلد صوتك .. ثم ظهر على منصة الخطابة في تمام الساعة التاسعة .. كما وعد .. ! "بيشو" يتولى حراسة "شارل دوجيفال" وهو واقف على منصة الخطابة دون ان يدري أن "دوجيفال" ليس سوى "ارسين لوبين" متنكرا . ! ياله من شيطان . ! لقد استطاع ان يبر بوعده ويفر هاربا غير مبال بالمئات من رجال البوليس الذين انتشروا في المكان . ! حقا إنه داهية اريب . !

ولم ينصرف "لوبين" خاوي اليدين .. كان في قاعة المكتب خزانة وكان في الخزانة سندات لحاملها واوراق مالية .. ومجموعة من الجواهر قيمتها ربع المليون فرنك .. فاختفت .. !

وبعد شهر من هذا الحادث تلقت "إيفون دورني" رسالة مرفقا بها شيك بربع المليون فرنك . وهذا نص الرسالة :

"أساء إليك "شارل دوجيفال" إساءة بالغة ... واهمل الطفلة البريئة

المسكينة.. وإني لأعلم ان جراح قلبك لم تندمل .. فاسمحي لي بان اقدم إليك عزائي على صورة الشيك المرفق ."

"ارسين لوبين"

تمت بحمد الله